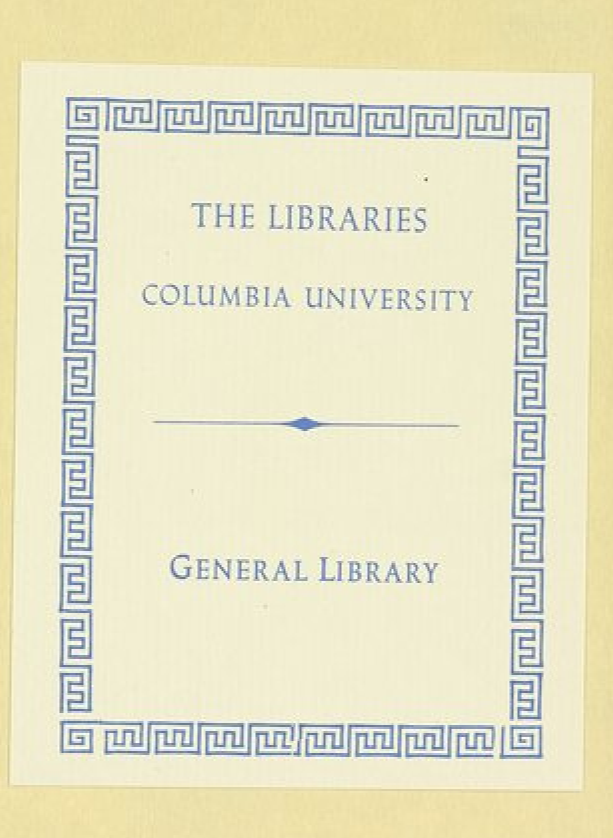
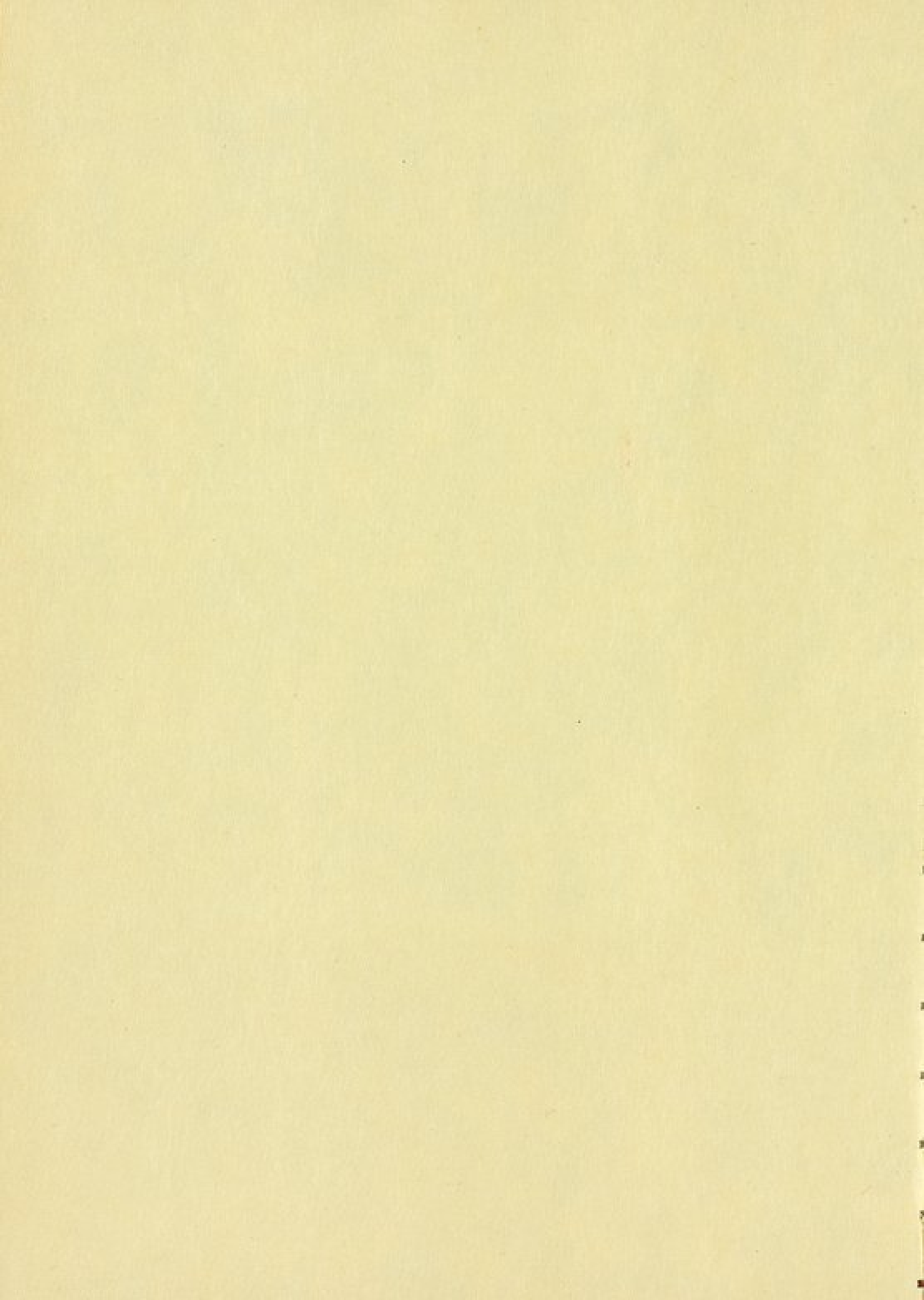
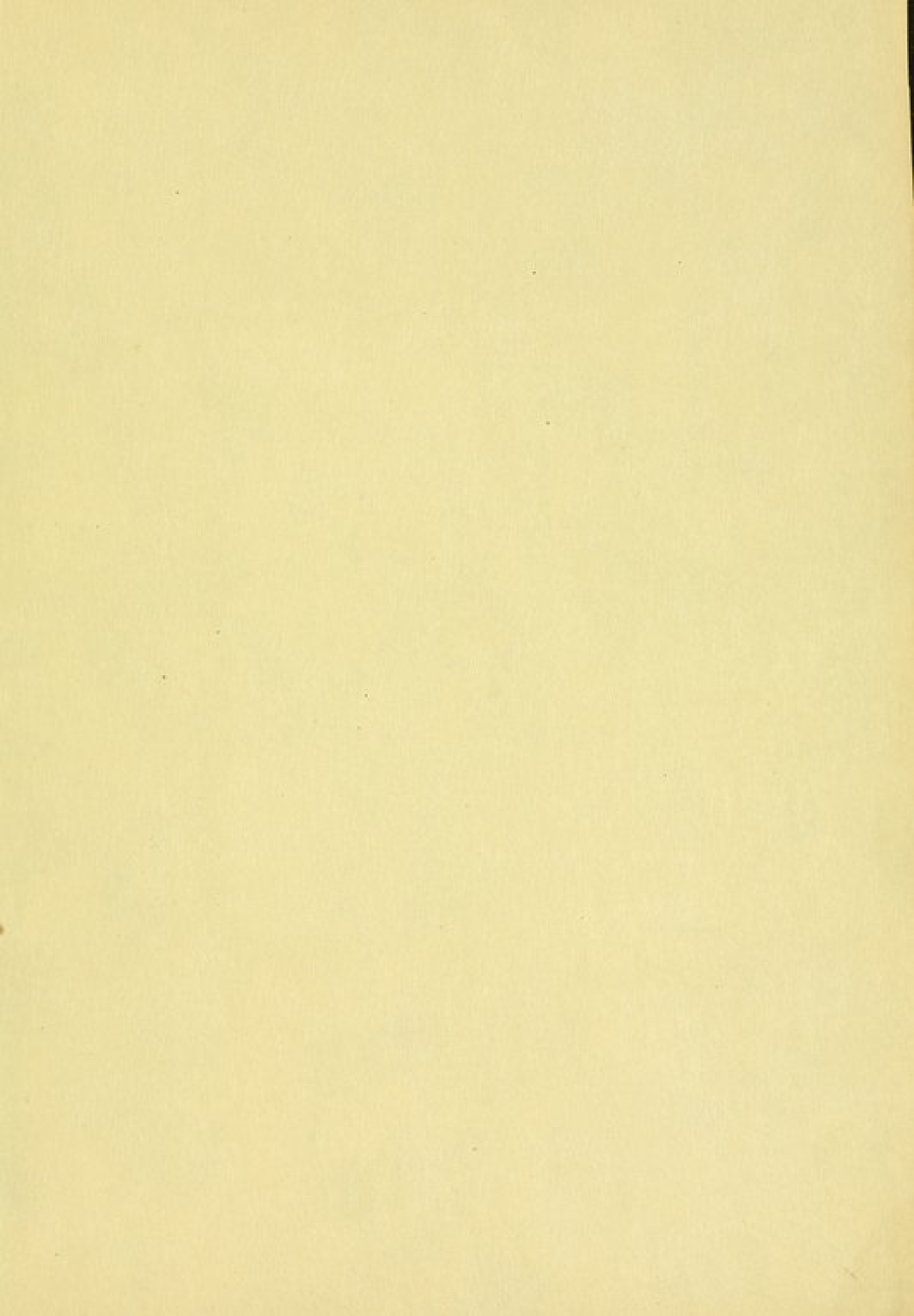



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY
GENERAL LIBRARY





وزارة الثقافة والإرشاد

مديرية الثقافة العامة

ديوان الشعر العربي الحديث

١

اللهب المقفى

شعر

حافظ جميل

اللهب المقفّى

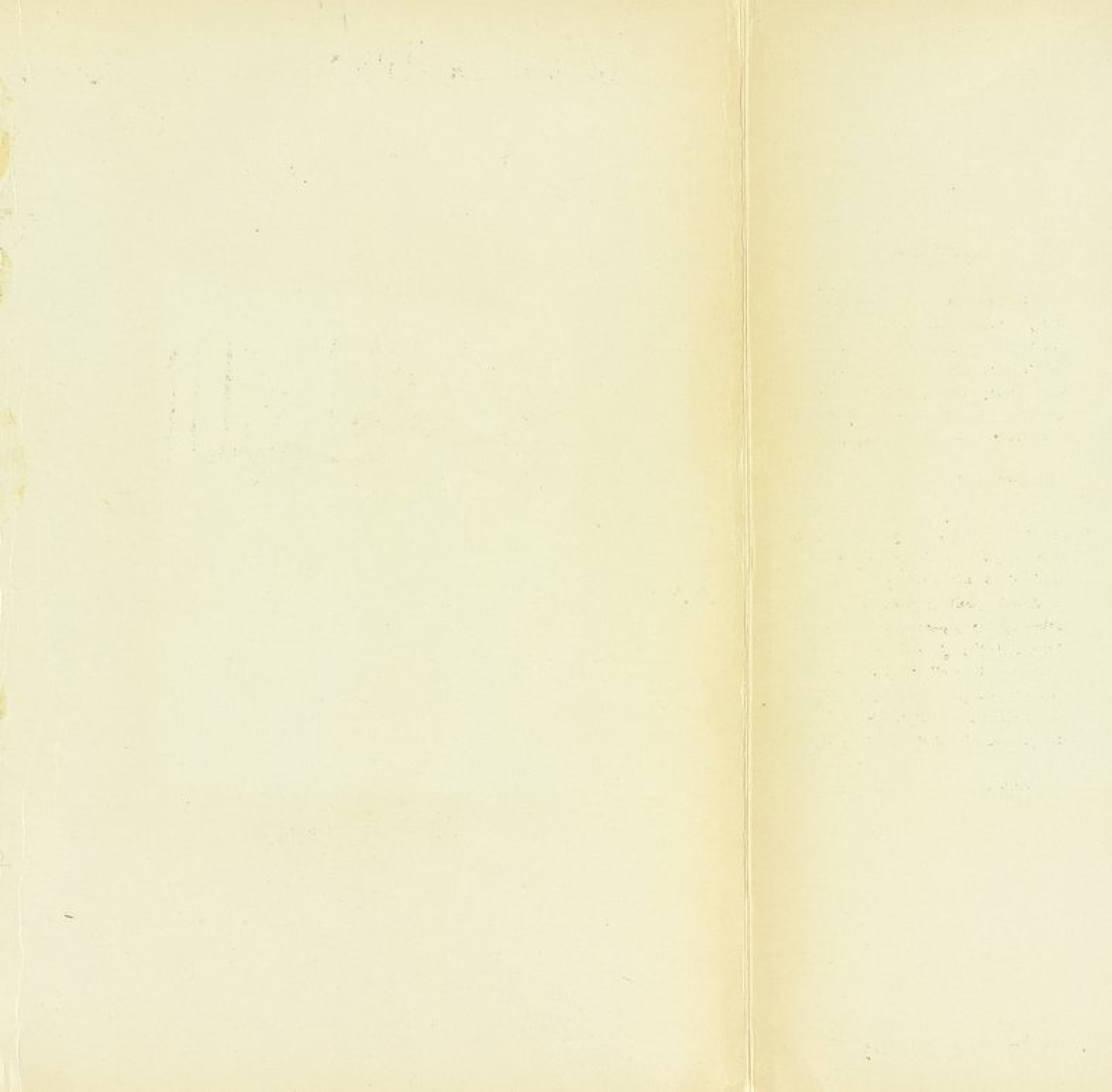
★ جاءنا حافظ بديوانه الثالث فاذا هو كنانة شعر رائع سداه الحماس والاباء والشجاعة في قول الحق والاعتداد بالنفس ولحمته الجزالة وحسن الاستعارة والطرافة والغزل ففي شعره حكمة وفيه فلسفة وفيه حلاوة وفيه طلاوة وفيه عظة وفيه تاريخ وفيه محاورة وفيه مساجلة .

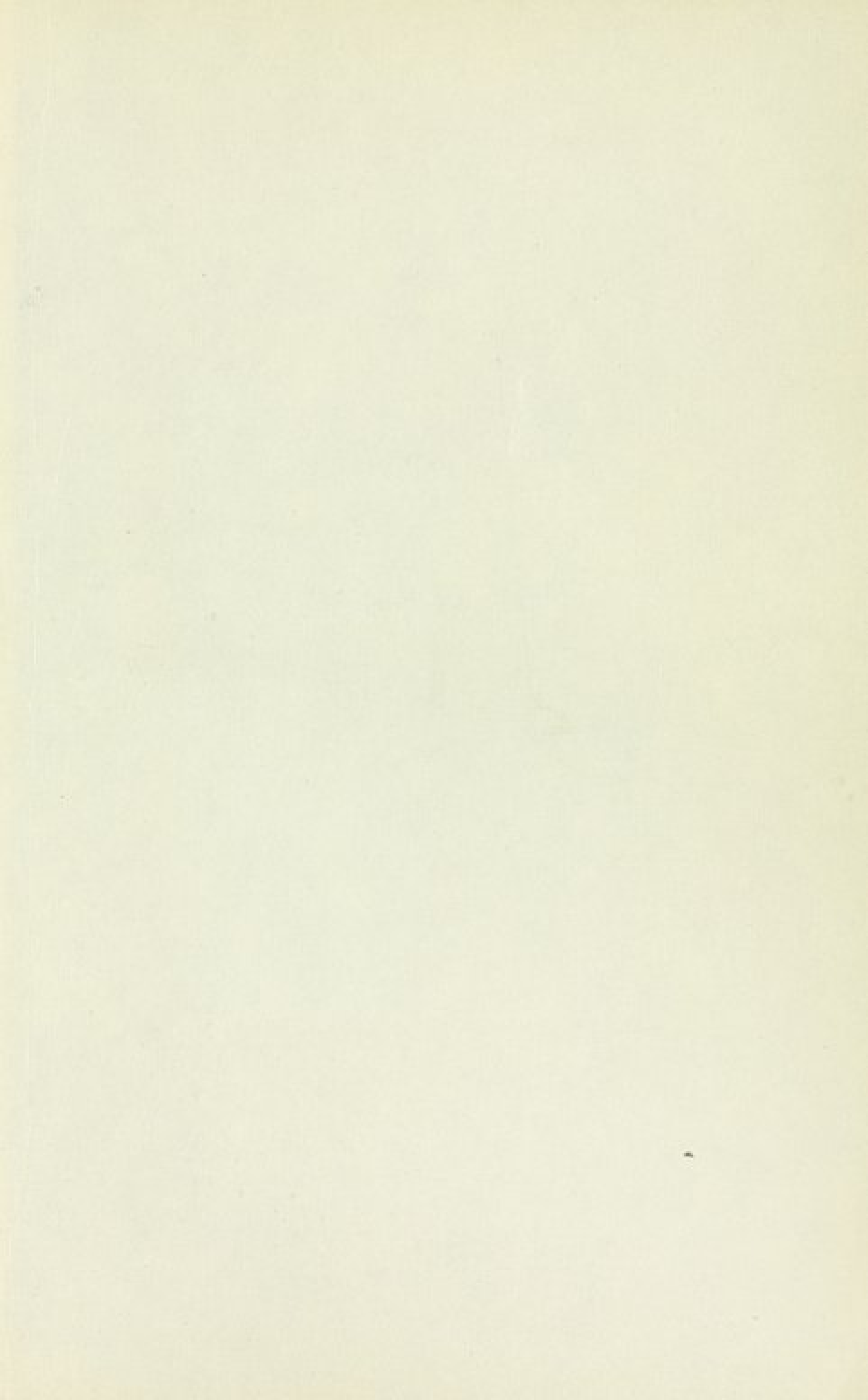
منير القاضي

★ وبعد فهذا هو « اللهب المقفى » الديوان الثالث للشاعر العربي الكبير (حافظ جميل) الذي انتهت اليه فحولة الشعر بعد رواد نهضته في العصر الحديث من امثال البارودي وصبري وشوقي وحافظ ومطران ثم الرصافي والزهاوي وحفظ للشعر العربي خصائصه الفنية في المعاني الفخمة والديباجة المشرقة والموسيقى العذبة بين دعوات شتى للتحلل من القيم المأثورة لذلك الشعر من هنا وهناك .

بدوي طبانة

التصميم : جميل حمودي





وزارة الثقافة والارشاد * مديرية الثقافة العامة

ديوان الشعر العربي الحديث

١



شعر

حافظ جميل

دار الجمهورية - بغداد
١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

مُقدّمة

بقلم الاستاذ العلامة

السيد منير القاضي

وزير معارف العراق الاسبق
ورئيس المجمع العلمي العراقي الاسبق

الادب من أرفع الفنون الجميلة أثرا ، وأبلغها عمقا ، تمتاز به الامم بعضها عن بعض علوّا وارتفاعا في الحياة الاجتماعية حسب قوّته واصالته في امة ، وضعفه وضآلته في أخرى ، فاذا بلغ من القوة الشدة والرصانة في أمة ، كانت قدوة حسنة لغيرها ، وكان أثره السموّ بها الى مكانة مرموقة ، محفوفة بأنوار الهدى ، فلا تضل ولا تشقى ، لان الادب ينير دروب الحياة وفيه الدواء الشافي من العلل الاجتماعية . فهو السلاح الحاد والواعظ الرشيد ، والمعلم الصادق ، والامام الهادي ، والدليل العارف ، والرفيق الامين . فهو جماع الفضائل وملاك الخير والقوة . فما هو الادب ؟

يدور على الألسنة كثيرا لفظ (العلم) مقرونا بلفظ (الادب) فلا تكاد تحسبهما يفترقان فهل هما مترادفان ؟ أو هل هما أخوان متعانقان ؟ أو هل هما نظيران متقاربان ؟ أو هل هما ضدان أو متناقضان ؟ أو هل هما شيئان متغايران لا غير ؟

نرى الاستاذ يكرر عبارة (العلم والادب) في فصول أبحاثه ، والمحاضر في (التلفزيون) يسهب في تكرار هذه العبارة عندما يحاضر في موضوع أدبي أو علمي ، والصحفي يزيّن أعمدة صحيفته بالاكثار من تكرار هذه العبارة اذا ما تناول البحث في موضوع علمي أو أدبي ، والسامعون والمستمعون من الطلاب وسائر المثقفين يتلذذون بهذه العبارة عندما تطرق أبواب آذانهم ، وان لم يستطيعوا أن يشرحوا معناها شرحا سليما •

ان صفوف بعض المدارس تقسم الى قسمين : (القسم العلمي) و (القسم الادبي) وان بعض المكتبات تصنف كتبها الى فروع ، منها (الفرع العلمي) و (الفرع الادبي) فما هو العلم وما هو الادب ؟

طالعت كثيرا من كتب الادب قديمها وحديثها ، وتساءلت كثيرا مع الادباء عن مفهوم الادب فلم أحصل على تعريف صحيح له يطمئن له القلب • ويوحى الى نفسي أن مفهوم الادب عند جميع الامم والشعوب واحد ، كما ان مفهوم العلم عند جميع الامم والشعوب واحد • ولهذا تعانق (العلم والادب) فأصبحا أخوين لا يفترقان وصديقين حميمين شريفين لا يتباعدان وان اختلفا في المفهوم • فمفهوم العلم يشرح في المقدمات العلمية • ومفهوم الادب يشرح في المقدمات الادبية • ومن حيث اني أقدم كلمة في الادب فقد اقتصرت على شرح

مفهوم الادب والوصول الى تعريف له • وقد استنرت في ذلك باستقراء ابراهيم عليه السلام اذ رأى كوكبا فقال : هذا ربي ، فلما أفل قال : لا أحب الآفلين • ثم انه لما رأى القمر بازغاً قال : هذا ربي ، فلما أفل قال : لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين • فلم يحفل بالكوكب ولا بالقمر لان صفة الأفول فيهما تستبعد أن يكون أحدهما رباً • ثم لما رأى الشمس بازغة وهي أعظم منهما حجماً وأسطع نوراً ، قال : هذا ربي ، هذا أكبر ، فلما أفلت • قال وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض ••• الخ •

قد كان ابراهيم متحيّرا في معرفة ربه ، فوجه ملاحظاته الى الموجودات النيرة المحسة علّه يجد بينها ربه ، وهي الكوكب والقمر والشمس ، فلما يئس من أن يكون احداها ربا هداه عقله وتفكيره الى أن ربه لا تراه الابصار بل البصائر ، فوجه وجهه اليه ، فوصل الى الحقيقة •

وهكذا استعرضت في خاطري ما قد يذهب اليه الفكر الى أنه هو الادب • فلاحظت بادىء ذي بدء أن الادب هو اللغة ، والنحو ، والصرف ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، والعروض ، والقوافي ، والنقد ، والتأريخ • ولكن بعد التأمل أدركت أن هؤلاء لاتصلح أن تكون هي الأدب لانها لا تؤدي ما يؤديه الادب من الاغراض السامية في المجتمع • فلو حفظ الراغب في الأدب عن ظهر غيب محيط الفيروز أبادي ولسان العرب وكتاب سيبويه ومفصّل الزمخشري وكافية ابن الحاجب وشافيته وألفية ابن مالك ومفتاح العلوم للسكاكي وتلخيصه ونحوها من أمهات كتب اللغة والنحو والبلاغة والتأريخ ولم يرزق

مفهوم الأدب ، لا يكون أديبا ولا يستطيع أن يؤثر أثرا في النفوس والافكار والمجتمع ، فهذه اذن هي علوم الأدب لا هي الأدب • أي انها علوم تنير طريق الادب •

ثم انتقل الذهن الى أن الأدب هو الشعر والنثر لأن بهما تظهر الآثار الأدبية التي لها حكمها في الحياة الاجتماعية ، وقد شاع بين كثير من الادباء مذهب من قال ان الادب هو الشعر والنثر الصحيحان، ولم يزل هذا المذهب شائعا في بعض المعاهد الادبية وبين كثير من أساتذة الأدب • ولكن الحقيقة نبهتني الى أن الشعر والنثر ما هما الا طريقان مستقيمان صالحان يسير فيهما الادب ، أو هما بمثابة سلكين حساسين ينفذ منهما الادب الى القلوب والنفوس فيضيء طريقها ويفعل فيها فعله ويقضي بحكمه ، شأن سريان الكهرباء في الاسلاك ينفذ الى المصابيح فيضيء الشوارع والبيوت وينفذ الى المحركات فيزود المعامل بالقوة العاملة المنتجة • فالناظر الى الظاهر يذهب الى أن المصابيح هي التي تبعث الضوء ، وان المحركات هي التي تصدر القوة الهائلة المنتجة ، ولكن العارف بالحقيقة والواقع ، يعلم أن الباعث للضوء والقوة المحركة هي الكهرباء الجارية في الاسلاك الواصلة الى المصابيح والمحركات • وهكذا أمر الشعر والنثر ، فليسا هما الأدب بل هما الطريقان الموصلان أثره والمظهران نتائجه • ثم خطر لي أن الأدب قد يكون من البديهيات ، والبديهيات لا تعرف ، بل تدركها الأذهان ، ومن كل هذا يتبين الاختلاف في تفهم الأدب ـ فمن قائل انه الشعر والنثر ، ومن قائل انه الشعر والنثر والخطابة ، ومن ذاهب الى أنه اللغة والنحو ••• الخ ، ومن متحير في حقيقته ـ يشعر انه ليس من البديهيات •

ثم هداني التفكير العميق واستعراض كلام شيوخ الأدب الى أن الأدب ملكة من الملكات التي يقتدر بها من توفرت فيه على ابداع أثر ايجابي ، له نتائجه المحمودة كالعلم ، فالعلم ملكة ، والادب ملكة ، والخطابة ملكة ، والتصوير بنوعيه الرسمي والنحتي ملكة . ولكل ملكة من هذه الملكات آثارها الخاصة ، وطرقها الخاصة . ولهذه الملكات ما يغذيها ويقويها ويسمو بها ، فتختلف درجات من توفرت فيهم وتتفاوت منازلهم حسب اختلاف ذلك قوة أو ضعفا .

الادب اذن ملكة يقتدر بها من توفرت فيه على التعبير عما يدور في خلده من الحقائق والأخيلة وسائر ما يريده بكلام بليغ نثرا أو نظماً ، وقوامه علومه من لغة ونحو وصرف .. الخ .. والمران والمطالعة المستمرة لكتب النتاج الأدبي من منظوم ومنثور للمبرزين من الكتاب وكبار الشعراء ومشاهير النقاد . وفي رأس مقوماته القرآن الكريم الذي بلغ حد الاعجاز ، فالاكثار من قراءته بامعان وتدبر يعلو بالروح الأدبية الى مكانة سامية ، ويقوي الملكة الأدبية ، فان القرآن الكريم قد جاء باسلوب معجز حكيم يقتبس الأديب من نوره ما يهديه الى سوح الأدب الواسعة الشاسعة فيصول فيها ويجول . فهذا هو مفهوم الأدب على ما أرى .

طريق الأدب

وللأدب طريقان : النظم والنثر . ولا أقول الشعر والنثر كما يقول بعض الادباء ظناً منهم أن الشعر والنظم مترادفان . وليس هذا بصواب ، فان الشعر مشتق من الشعور ، والشعور حركة في خلايا

الــدماغ منبعثة من دافع خارجي • وقد تصــل هذه الحركة الى الاضطراب ، وقد ترتفع الى التهيج ، وقد تعلو الى ما فوق ذلك حسب قوة الدافع وشدته ، فتثير النفس وقد تدفع الجسم الى المخاطر تحمسا • وقد تكون هادئة تلعب في الخــلايا لعب النسيم في أوراق الورود ، فتهديه انبساطا وارتياحا ولذة ما فوقها لذة ، وقد ترسم فيها صــورا تنقبض منها النفس فتنزوي وتنكمش فتثير الحزن والألم • أما النظم ، فهو صوغ الكلام بأوزان معينة على قوافي معينة ، من غير التفات الى ما يحمله من المعاني وما يبعثه في النفس من شعور وما يثير فيهـا من انبساط أو انقباض فالنظم ان جاء متلبسا بالشـعور مؤثرا في النفوس انبساطا أو انقباضا ، سرورا أو حزنا ، حماسا أو ركودا ونحو ذلك من آثار الشعور ، فهو شعر ، وهو نظم ، والا فهو نظم فقط • فالنظم أعم من الشعر • قد نظم كثير من العلماء علوما ذوات شأن ، فنظــم فيلسوف الاسلام ابن سينا منظومة مسهبة في الطب ، ونظم ابن مالك الفيّة في النحو والصرف ، وهكذا ، وليس في هذه المنظومات شيء من معنى الشعر ، ولم يقصد ناظموها الا تسهيل حفظ قواعد العلوم على الطلاب • فالنظم شيء والشعر شيء • قارن بربك بين قول القائل :

مشيــناها خطىً كتبت علينــا ‏ ‏ ‏ ومن كتبت عليــه خطىً مشــاها

وبين قول حافظ جميل :

حسب الحيّة لحظها ان سلّمت ‏ ‏ ‏ وشــفاهها ان أومأت لمسلّمِ

أي البراعـــم أينعت وتفتحت ‏ ‏ ‏ ورجعن أكماماً كهذا البرعـــم

لو أن أزهار الربيع لمحنــه ‏ ‏ ‏ لرقصن من طرب لأجمل موسم

وقارن بين قول القائل :

وما هذه الايام الا صـــحائف ونحن على أجداثنـا في عبورها
تمرُّ بنـــا يوما فيــوما فتنقضي تقلبها الأيدي ونحن سـطورها

وقول حافظ جميل وقد ضعف بصره :

عيني التي أضــرمتها ناراً بجذوتها اكتويتُ
وظللت أشرب من ســعير دموعهــا حتى ارتويت
ولطــالما هتكت بنظرتهـــا السرائر فاهتـديت
واليوم أمسك بالعصا حذر العثـار اذا مشيت

فالاول تفلسف محض والثـــاني فلسفة وشعر • فالأول نظم والثاني شعر •

روافد طرق الأدب

للأدب طرق ، ولهذه الطرق علوم سبق أن أشرت الى أكثرها، ولها روافد تغذي أهم علومها (اللغة) ، وهي المصطلحات العلميـــة والأدبيـــة والاجتماعية ، مرتجلة أو منقولة (مترجمة) أو معربـة موضوعة أو مقتبسة • فان هذه المصطلحات تجري بالأدب حياً متطوراً فلا يقف عند حد ولا يرجع الى الوراء ، ولا يصبح غريبا في دنيـا الأدب • وان الجمود والانعزال عما يتجدد من المعاني والمصطلحات في المجتمعات المدنية والبيئات العلمية في العالم المتمدن ، وقوف مشـين بالأدب ، كما أن التعصب الشديد في استعمال الألفاظ ومنع التصرف بها تصرفا لا يخرجها عن الأصول والقواعد العربيـة لأشـد ضررا

وأسوأ مغبة من الجمود والانعزال • ولقد رأيت بعض الادباء يتحرجون حتى في استعمال حروف الجر بعضها مكان بعض ناسين أو متناسين أن ذلك سائغ للمستعملين ، وانه من قبيل الاستعارة التبعية، فهي تجري في الأفعال وفي حروف الجر كما هو مبسوط في بحث الاستعارة التبعية في علم البيان ، فيجوز استعمال حروف الجر بعضها مكان بعض وفق طريقة الاستعارة التبعية ، من غير اضطرار الى تضمين متعلقاتها معاني أفعال أخرى • وفي القرآن الكريم كثير من هذا الاستعمال مثل : لأصلبنكم في جذوع النخل • أولئك على هدىً من ربهم •

هذه نبذة وجيزة من القول في الشعر • وأما النثر فهو الطريق اللاحب الواسع العريض للأدب منه يجري أفواج الكتاب ، وزمر الصحفين ، وجماعات المشترعين ، وطوائف المؤلفين ، ووفود القصاصين بما فيهم أصحاب المقامات • ومنه يمشي الخطباء ويسعى الوعاظ ويعدو المرشدون •

والكلام في النثر يملأ الكتب ويفيض ، وأنا أقدم لديوان شعر لا لمجموعة نثر ، على أني لا أغفل مسألة جديرة بالتنبيه اليها ، هي هل يسمى النثر الذي يثير الشعور ويحدث في النفس انبساطا أو انقباضا شعراً ؟؟• كما يسمى النظم الذي يحدث ذينك شعرا على ما مر بيانه • لا أعلم أن أحدا من القدماء سمى ذلك شعرا ، غير أن المحدثين من الادباء يسمي مثل هذا النثر (الشعر المنثور) تمشيا مع مفهوم الشعر في علم المنطق • ولا حرج في التسمية ، ولا سيطرة لقديم على جديد • بل التجدد أو التجديد رمز الحياة في الامة •

وأما النظم الحديث الذي يرغب فيه البعض ويسميه (النظم الحر) أو (الشعر الحر) • فلا أتعجل في الحكم له أو عليه • لأنه لم تستقر أوزانه، ولم توضع له قواعد وأساليب ، ولم ينصرف الى جانب المعاني تصرفات دقيقة مترابطة ، بل قد لا تجد بين بيت وبيت أو شطر وشطر ارتباطا ، بل لا تجد في المعاني الا تخيلات غريبة ولا تجد في أكثر الألفاظ الا مجازات بعيدة ، ولا تحتمل هذه العجالة التبسط فيه • ولعل المستقبل يداويه ، والاستعمال يصقله ، والنقد يقيمه ، والاستقراء يستخرج له قواعد وأوزاناً •

الأدب المطعّم

وقفت على بحث لبعض الادباء تعرض فيه لنوع من الشعر سماه (الشعر المطعم) يعني به شعرا عربيا مطعما بالشعر الغربي أو الشعر الفارسي وضرب لذلك أمثلة أكثرها من قبيل النظم لا الشعر ، ثم انه بعدما أسهب القول فيه قال يتلخص من البحث أن في الادب نوعا يجدر به أن يسمى (الأدب المطعم) ، وهو تزاوج بين الادب العربي وأدب آخر كالأدب الفارسي والأدب الفرنسي وهكذا • ولا أستصوب هذا المذهب وأظنه ناشئا من عدم تفهم معنى الادب ومعنى الشعر تفهما صحيحا دقيقا •فلا تطعيم بين أدب وأدب، ولا تزاوج بين شعر وشعر ، فمعنى الادب في الامم واحد ، ومعنى الشعر فيها واحد • وكالرسم ، والنحت ، والموسيقا ، فان مفهومها واحد في جميع الامم والشعوب • والتغاير والتطعيم والتزاوج في الانتاج ووسائل الانتاج • نعم قد يصح هذا المذهب على القول الشائع على ألسنة كثير من الادباء من أن الادب

هو النثر الصحيح والشعر الصحيح • وقد سبق أن بينا موجزا خطل هذا القول •

الشاعر حافظ جميل

سبق لحافظ جميل أن نشـــر له ديوانان شاهدان على اصـالة شعره ، وجزالة نظمه ، وتعمقه في استنباط المعاني الدقيقة التي تصوز في الأذهان صــورا قد يعجز عن تصويرها الرسام المـاهر ، والنحات القـــادر ، والشاعر والرسام والنحات أخوان الصفا ، ورعـــاة الفن والجمال ، وحماة النفائس والأعلاق • فالشاعر يعمل بروعة خياله ، وحسن تعبيره ، وبلاغة مقـــاله ، والرسام بمرونة ريشته ، وانسجام ألوانه ، وهندسة أشكاله ، والنحات بمرهف ازميله ، وقوة بنانه ودقة تصرفه • وهم وأخوهم الموسيقار شـيعة واحدة ، وحزب واحـد ، ينهض بالفن الرفيع ويقدم دروساً تصقل الأخلاق وتنمي الأذواق • وقد رافقهم في هذا العصر السينمائي فهو عنصر في الفن جديد وأخ لهم في الصنعة الرفيعة • والكل يؤدي للشعب ما يهذب ذوقه ويضيء دروبه ويقوّم أخلاقه •

وقد جاءنا حافظ بديوانه الثالث فاذا هو كنانة شعر رائع ســداه الحماس والاباء والشجاعة في قول الحق ، والاعتداد بالنفس ، ولحمته الجزالة وحسن الاستعارة والطرافة والغزل ، مما ينبيء أن حافظا كلما خطا خطوة في عمره المديد ان شاء الله تعـــالى شب روح الشباب في شعره ، فجاء غضا رقيقا ، فيه حكمة ، وفيه فلسفة ، وفيه حلاوة ، وفيه طلاوة ، وفيه عظة ، وفيه تأريخ ، وفيه محاورة ، وفيه مساجلة •

وحافظ منذ نعومة أظفاره ذواقة للشعر ، عرافة بالنقد ، كثير المطالعة لدواوين مشاهير الشعراء ، فتأثر بشعر أبي نواس وأبي العتاهية والبحتري والمتنبي ، فجاء شعره يحمل مرح أبي نواس مطعما بزهد أبي العتاهية ممزوجا باباء المتنبي وشجاعته واسلوبه .

قرأت هذا الديوان ، وكلما انتهيت من قصيدة قلت هذه هي غرة الديوان ويتيمة قصيده . فهو مجموعة فرائد وصفحات غرر . وان كنت في شك مما قلت فأرجع البصر في قصائده وسرح الفكر في عيون أبياته ، تجد أن القول حق ، والحق أقول .

ومن مزايا حافظ أنه لم يمدح في شعره مدح تزلف ، ولم يرث أحدا الا من يستحق الرثاء من الادباء كالعقاد .

شاعرية حافظ جميل

الشعر موهبة يهبها الله من يشاء من عباده فضلا منه ، والله يؤتي فضله من يشاء . ولا يأتي الشعر بالتكلف والتعمل ، فالقريض المتكلف نظم لا شعر . وحظ حافظ من هذه الموهبة حظ عظيم قلّ من نال مثله من الشعراء المعاصرين . ولا تسع هذه المقدمة الوجيزة سرد القليل من عيون أبياته التي تغمر معظم صفحات الديوان . ولكني لا أهمل ذكر البعض منها . فمنها قوله في قصيدة (ليلة في الشوير) :

رب (رومية) وما عرف الحسن لآرام رومة أشباها

برزت من كناسها تتهادى في عزيز من دلّها وصباها

يتنزى الجمان في مفرقيها كتنزي القلوب في لقياها

عصبت رأسها بمنديل ورد شغلتنا عن حسنه وجنتاها
وأزاحت عن هالة الصدر شفاً طالما ذرّ خلفه قمراها

وقوله في قصيدة (أصنام المال) :

من زيّف الناس أخلاقاً وايمانا وصيّر الراهب الزمّيت شيطانا
حلاوة المال لم تترك لذي ورع ديناً ولا لرقيق القلب وجدانا
تشقى الألوف لتبني مجد طاغية يزهو على جبروت الله طغيانا
لم يحزم البدو من جوع بطونهم الا ليصبح كرش الشيخ ملآنا

وقوله في قصيدة (آمال) :

ولكم أخذت عليك بخلك حين أطمع في رضابكْ
وأنا الذي لو شئت عاقرت المنون على حسابك
وجعلت من عيني طعامك والمفضل من شرابك

واقرأ قصيدة (مع الراح) تجد أن شيطان أبي نواس يستوحي من شيطان حافظ السحر الحرام من سطور السحر الحلال .

واقرأ قصيدة (لبنان) تجد البحتري وحافظاً تطابقا في بداعة الوصف ، لكن هذا وصف بلداً عربياً نفتخر به ، وذاك وصف ايوان كسرى ، وكل من الشاعرين عربي أصيل .

واقرأ قصيدة (من الاك يا ربي) وقصيدة (استغفار) تتصور أبا العتاهية وحافظاً متضرعين الى الله يطلبان العفو عما أسلفا من أخطاء، وأبو نواس خاشع من ورائهما يقول : آمين .

ولا تسع هذه الصحائف المعدودة أن أسطر كل ما أتحسس به من شعر حافظ ، ولكن لذلك موضع آخر ان شاء الله تعالى .

٥-٣-١٩٦٦ **منير القاضي**

نظرات في اللهب المقفى

بقلم الأديب الكبير

الدكتور بدوي طبانة

استاذ النقد الادبي بجامعة القاهرة
والمنتدب بجامعة بغداد

ألف كثير من أهل الفكر وحملة الاقلام وأرباب القريض أن يقدموا بين يدي أعمالهم الفنية أو العلمية كلمات يومئون بها الى مقاصدهم ، ويكشفون فيها عن دوافعهم ومناهجهم ، ويمهدون بها للقارىء سبيل الدخول الى موضوعهم .

وكثيرا ما يحملون هذا العبء بعض من يظنون بهم النصفة من الأولياء والأصدقاء ، ملتمسين منهم التأييد أو التمجيد ، والنظر في آثارهم بعين الصديق ، أو عين الرضا ، وقد يلجئون الى ذوي الخبرة بالعمل الذي يقدمون ، ليكون في كلامهم ما يشبه الشفاعة عند القراء الذين سيطالعون نتاجا جديدا لكاتب جديد يقتحم مجالات الفكر أو

الفن في أول عهده بها ، كما ألف الناس كثيرا من أمثال ذلك في هذا الزمان .

وأنا واثق كل الوثوق أن شيئا من هذا الذي ذكرت لم يكن له شيء من التسلط أو الايحاء الى صديقي الشاعر الكبير « حافظ جميل » حين طلب الي كتابة الكلمة الاولى فيديوانه الجديد « اللهب المقفى » !

ذلك أن شعر حافظ جميل ليس في حاجة الى تقديم من أحد ، بل ان هذا الشعر العذب الصافي البديع يقـدم نفسه في زهو وكبرياء لا يعرفهما خلق حافظ جميل الذي هو أبعد من عرفت عن العجب والخيلاء .

وربما كانت الحياة الوادعة التي يحياها بعيدا عن أجواء الضجيج والصخب والدعوى الفارغة التي يحياها كثير ممن ينتسبون الى الفن والادب في أيامنا الحاضرة ، ويتخذون من حياة التهريج وسيلة لترويج بضاعة فاسدة وتجارة كاسدة .. أقول ربما كانت حياة حافظ جميل الوادعة ، وعزوفه عن المجامع والمحافل - اذا استثنينا نفرا قليلا من ألافه ومريديه وأصفيائه يلتقي بهم في داره ، أو يفي لهم بالزيارة لماما - مظهرا من مظاهر تواضع نفسه ، وزهادتها في الكبر والخيلاء بنفسه الكبيرة ، أو بفنه الاصيل .

وأعتقد أن تواضع حافظ جميل وانزواءه عن المجتمعات يحملان معنى من معـــاني الأنفة والترفع والاباء ، وهي صفات ألزم ما تكون لذوي المواهب الذين لا يمتهنون مواهبهم باتخاذها شباك صيد ، سواء أكان الصـــيد مأربا من مآرب الحياة الفانية ، أم كان اشباع شــهوة من شهوات النفوس في الشهرة وذيوع الصيت في عالم الناس .

وما أبعد الفرق بين من يصعر خده ، ومن يملك زمام نفسه ، ويحول بينها وبين التردي والضعة في استجداء الاعجاب ممن لا يملك سببا من أسباب الاعجاب .

ولم يكن حافظ جميل محتاجا الى التقديم أو التعريف ، اذ هو معروف بشخصه ، ومعروف ببيته الذي هو أحد البيوت المذكورة في الشام قبل العراق ، ومعروف بأجداده من رجال العلم والادب والجاه، ومعروف بأبيه الفقيه العالم الذي درّس طويلا في حلقات بغداد ومعاهدها ، وخلف آثارا يعرفها العراقيون في النحو والادب والعروض، وتخرج حافظ على أبيه وغيره من علماء العراق ، وتخرج في لبنان في جامعتها الاميركية على علماء من الشرق وعلماء من الغرب ، وصحب عددا كبيرا من علماء لبنان وأعلامه وأدبائه يذكرونه دائما ، ويذكرهم دائما في أحاديثه وفي شعره ، في قصيدة وفاء ، أو في استعادة ذكريات شبابه الذي قضى شطرا كبيرا منه الى جوارهم . وتقلد حافظ بعد رجوعه الى العراق عددا من المناصب في الادارة وفي التدريس ، حتى سئم الحياة الرتيبة في الوظيفة ، وضاقت به وضاق بها ، حتى أخلد الى حياة العزلة والتأمل .

ولا شك أن سببا واحدا من تلك الاسباب يكفي لذيوع اسمه بين من لا يحصون عددا في بلاد العراق وفي بلاد الشام ، ومنهما الى حيث ينتقل الاسم في بلاد العروبة وغيرها .

كذلك لم يكن شعر حافظ جميل في حاجة الى تقديم أو تعريف، فقد عرفه الادب العربي في الربع الاول من هذا القرن العشرين شاعرا ينشد الشعر ، وينشره في الناس ، واستطاع أن يقدم للناس بعض

ثمرات من نتاجه الاول قبل ثلاث وأربعين سنة ، وكان اذ ذاك في السادسة عشرة من عمره ، في ديوان سماه « الجميليات » كما سمى شاعر العصر أحمد شوقي ديوانه « الشوقيات » •

وحسبنا أن نشير الى أن الذي قدّم « الجميليات » هو العالم الكبير الاستاذ منير القاضي ، وقد تنبأ لحافظ بأنه سيكون أكبر شعراء العراق • وقد صدقت نبوءته ، فبعد أربع وثلاثين سنة قدم الاستاذ منير ديوان حافظ الثاني الذي سماه « نبض الوجدان » وهو سفر خالد في ديوان الشعر العربي الحديث ، وها هوذا اليوم يكتب الكلمة الاولى في ديوانه الثالث « اللهب المقفى » •

وأسأل الله بعد ذلك للرجلين سعة في العمر ، وخصبا في الشعر ، ومزيدا من الوفاء ، وان كان حبهما ووفاؤهما ليسا في حاجة الى مزيد !

ولست أحسب بعد هذا البيان أن « حافظ جميل » كان محتاجا الى التعريف ، أو أن شعره كان محتاجا الى التقديم ، ولكني أعتقد أن الذي حدا الشاعر الكبير الى كلمتي هو تأكيد الحب الذي اتصل بين قلبينا ، وحرصه على تخليده في أثر يحفظه الزمان ، بعد أن تطوى صحائف الاعمال ، ويبقى الأثر شاهدا على مر الايام ، واني بذلك لجد سعيد •

* * *

وبعد ، فهذا هو « اللهب المقفى » الديوان الثالث للشاعر العربي الكبير « حافظ جميل » الذي انتهت اليه فحولة الشعر بعد رواد نهضته في العصر الحديث من أمثال البارودي وصبري وشوقي وحافظ ومطران ثم الرصافي والزهاوي ، وحفظ للشعر العربي خصائصه الفنية

في المعاني الفخمة ، والديباجة المشرقة ، والموسيقى العذبة بين دعوات شتى للتحلل من القيم المأثورة لذلك الشعر من هنا وهناك • وأنا أقرأ هذا الديوان بعد عامين منذ قرأت ديوانه الثاني « نبض الوجدان » • أما « الجميليات » فلم تتح لي قراءتها ، وأفترض أنها لا تخلو ـ كما لا تخلو المحاولات الاولى ـ من مواضع للاجادة ومواضع للنقد ، وأعتبر « نبض الوجدان » الصورة المثلى لشاعرية حافظ ، بعد تمرسه بالفن الشعري ، واستحكام آلته فيه ، وتنوع تجاربه وتعمقه فيها • وكنت قد قرأت ذلـك الديوان ، وأوحت الي قراءته كلمات كتبتها في مجلـة « الرسالة » المصرية تحت عنوان « شاعرية حافظ جميل »[1] وألممت فيها ببعض الجوانب التي تفيض بها تلك الشاعرية الخصبة •

و « اللهب المقفى » عنوان صادق لمجموعة الشعر التي يشتمل عليها هذا الديوان ، كما كان « نبض الوجدان » عنوانا صادقا لمجموعة شعره السابقة ، وكل منهما صورة صادقة للشاعر تستطيع أن تقرأ فيهـا عواطفه وأحاسيسه وتجاربه في المرحلة التي سبقت اخراج كل ديوان منهما ، فان « نبض الوجدان » يجمع شعر الشباب في عنفوانه ، ويصور تلك الطاقات الهائلة من الحيوية ، ومن العواطف المشبوبة بين جوانح الشاب الفتى ومن الثورة الجامحة على ما لايرضى في الحيـاة أو في الاحياء ، ومن الاستجابة لدواعي الفتنة وأسباب الاغراء ، ومن التصريح بانتهاب اللذات ، وعدم المبالاة باللاحين ••

وأنت واجد في « نبض الوجدان » ما شئت من حماسة الشباب ،

---

(١) نشرت هذه الكلمات في أربع مقالات في مجلة « الرسالة » في ١٣ و ٢٠ و ٢٧ من أغسطس (آب) سنة ١٩٦٤ و ٣ من سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٦٤ •

وطغيان عاطفة الوطنية التي تسلك حافظا في عداد الطبقة الاولى من شعرائها ، وفي ثبات حافظ وعدم اضطرابه بين المبادىء المتباينة ، وعدم نقضه اليوم ما جهر به بالامس ، في كل ذلك ما يقدم حافظا الى صف الطليعة بين اولئك الشعراء ، فقد سخر من الطغاة وعبثهم بحقوق رعاياهم في العهد الملكي البائد ، ولم يخش غضبهم ، ولم يتق بطشهم . استمع الى شيء من حديثه الى « الطاغية في العيد »[1] :

هذي ضحاياك أكباد وأفئدة ... وأين منها ضحايا الشاء والبقر
جزرت قبل أوان النحر حافلها ... فكم تركت ليوم النحر من جزر
فانعم بأشلاء أحرار فتكت بهم ... واشرب بأجفانهم من جامد البصر
ما حدقت لك عين غير دامعة ... ولا رنا لك قلب غير منكسر
ظننت سود الليالى عنك غافلة ... فنمت عنها وظل الناس في سهر

ثم اقرأ خطابه للطاغية[2] :

يا مالك الدنيا وسيدها ... أأباح أكل العبد سيده
ومطاول بالمجد ليس له ... من قدره شرف يمجده
أستغفر الانصاف ان له ... سوداء ناصية تسوده
باغ ومن يدري لعل له ... بين البغايا من يؤيده
قاس ، ومن يدري لعل يدا ... أقسى اذا ما رق تجلده
دستوره وطن يمزقه ... وشعاره شعب يقيده

ان هذا شعر قاله حافظ جميل ، ونشره حافظ جميل في زمان البطش والطغيان ، غير مبال بما يتعرض له من انتقام الطغاة ، وهو

(١) نبض الوجدان ١٠٥ .
(٢) من قصيدته (شاعر) نبض الوجدان ٦٤ .

ذلك الرجل العف في منطقه ، الحيي في نظرته ، السمح في طبعه ، ولكن بين جنبيه قلبـــا يؤرقه ، وحبا لامتـــه ووطنـــه ، وغيرة على المثل التي يعشقها دفعته الى تلك الثورة العارمة على الظلم والطغيان على هذا النحو من القوة والصراحة .

ولم أعثر في « نبض الوجـــدان » على ضخامته الا على قصيدة واحدة حاد فيها شاعرنا عن هذا السنن ، وأغمد فيها سيفه البتار الذي شهره في أكثر قصائد الديوان ، ولجأ الى تقليد ما جرى عليه كثير من المؤلفين والكتاب والشعراء من بدء تآليفهم أو دواوينهم بتحيـــة الملوك وتحليتها برسومهم ، وهي قصيدته « لك المجد » ..

ولعل الذي ساق حافظاً الى هذا التقليد هو رغبته في تعبيد الطريق أمام ديوانـــه الجديد ، وحرصه على نشره وتداوله بين النـــاس في العراق ، ليخفي بهذا التقليد ما فيه من تمرد وثورة على وصي العراق، وعلى أعوان الاستعمار فيه ، أو لعله مظهر لعاطفة الشعوب نحو اولئك الملوك الصغار الذين لم يجرب فسادهم، ومحاولة لاجتذابهم الى صفوف شعوبهم ، والى أماني أمتهم .. ذلك ما أرجحه تفسيرا لتلك القصيدة اليتيمة في صدر « نبض الوجدان » وصورة الملك الصغير الذي نهكه المرض في أوله !

* * *

وكذلك أنت واجـــد في شـــعر الشباب الذي تقرؤه في نبض الوجدان ما شئت من الجهر بمتابعة الهوى ، والايغال فيه ، والتصريح بالانقياد لدواعيه ، والصدق في العبارة عن واقع التجربة ، من غير مبالاة بانكار المجتمع ، لانه متمرد على ذلك المجتمع الذي ترتكب فيه الكبائر ، ويظهر مرتكبوها في صورة القديسين ، ومن أمثلة ذلك قوله

في مطلع قصيدته « بداية النهاية »[1] :

هي النفس أجري في هواها كما تجري
ولا أتوخى العذر ان فاتني عــذري
يعيب علي النـــاس سافر لــذتي
ولم أر عيباً كاضــطراري الى الستر
أرى النــاس لا يطــرون الا مخادعا
والا أخـــا جبن والا أخـــا مكر
وحسبك خـــدعاً أن يضــام أبيّهم
فيهمس بالشــكوى ويهتف بالشـكر
وما شانني في النــاس كالجهر بالهوى
كأن الهـــوى مما يشــين وما يزري
ولـــولا دموع للـــرزايا حبستهـــا
لواصلت لـــذاتي مواصـلة الـــدهر

وقوله في قصيدته التي أسماها « رائعة »[2] :

حسبي وحسبك يا (مليحة) في التعاتب من جــدال
لا تسأليني عن ظـروف تهتــكي وعن ابتـــذالي
لا تسأليني كيف آثرت الحرام عـــلى الحـــلال
لا تسأليني عن مدى وجــدي وصبري واحتمالي

---

(١) نبض الوجدان ١٨٧ .
(٢) نبض الوجدان ٢٣٤ .

فلأنت جد عليمة بالرد عن هذا السؤال
أنا مثلما وقفت حيالك عقدة وقفت حيالي

فأنت واجد في هذين النموذجين من حدة الانفعال ، والتأثر بالتجربة ، وصراحة الشباب في انقيادهم لدواعي الهوى ، وفي استسلامهم لمطاياه ، وفي التعبير السافر ، ما وجدت في وطنياته الثائرة ، ولكنك على الرغم من هذه الصراحة التي تجدها ، والحرارة التي تحسها لن تجد في هذا الشعر كثيرا أو قليلا مما يخدش الحياء من التعابير المكشوفة ، أو الالفاظ النابية التي تنفر منها الأذواق ، من أمثال ما يشيع في أدب مقارفي اللذات وواصفيها في سائر العصور • هذا مع أن حافظ جميل من أكبر أشياع المدرسة النواسية في الشعر العربي الحديث •

★ ★ ★

وحافظ جميل في « نبض الوجدان » هو حافظ جميل في « اللهب المقفى » بحسّه المرهف ، وبعاطفته الجياشة ، وبصدق تعبيره عن تجاربه الحلوة وتجاربه المرّة أيضاً ، ولا أستطيع أن أقول مطرياً انني وجدت في شعره الجديد في « اللهب المقفى » بعد تسع سنوات ما لم أجده في نبض الوجدان ، ففي كلا الديوانين نبضات حسّ مرهف ، لم تصدر عن الشاعر ألفاظا ضخاماً ، وأجراساً موسيقية مطربة أو مشجية فحسب ، ولكنها تجارب عميقة أشعلت قلبه الذي بين جنبيه ، فكانت تلك الالفاظ القوية بايحائها وموسيقاها أصداءً لاصلها المحتدم في حياته وفي أعماق نفسه •

وقد يقال ان حافظ جميل قد بلغ مرحلة التطامن الذي تنكسر

فيه حدّة الشباب ، وتضعف فيه نوازعه أو تزول ، وذلك ان كان يصدق على كثير من الشعراء الذين يلين شعرهم بلين عواطفهم اذا تقدمت بهم السنون ، أو زالت دوافع الشعر ودواعيه عندهم ، فانه ليس كذلك عند حافظ جميل ، لان شعره ليس شعر المناسبات ، وان بدا أثر المناسبات في بعض العناوين التي يتخيرها لقصائده ، أو المناسبات التي ينشدها فيها ، فان تلك المناسبات عند حافظ جميل ليست سوى فرص ينتهزها للتعبير عن نفسه والبوح بمكنون عواطفه ومخزون رأيه ، وتكشف النقاب عن المستور من معتقده .

خذ مثلاً قصيدته « تحية الشعر » التي ألقاها في مهرجان الشعر في بغداد في العام الماضي ، وقد كان حافظ فيها لسان العراق المنطلق في يوم المهرجان للترحيب بوفود البلاد العربية من الشعراء والكتاب ، وانظر حظ التحية التي جعلها عنوانا للقصيدة أو حظ الترحيب وهو المناسبة الداعية للانشاد ، تجده قد غاض واختفى بين حشد العواطف والذكريات نحو بغداد وأمجادها وتاريخها القديم والحديث وفي مطلعها[1] :

أضياف بغداد هذا وجه بغداد
صحائف من بطولات وأمجاد

ما حبّر الدهر تاريخاً كأسطرها
في لوح خلد ولا في سفر آباد

في كل صدر كتاب من روائعها
يتلى وفي كل ثغر حلو انشاد

---

(١) اللهب المقفى ٧٠ .

هاتوا الصحائف من عزّ ومن حسب
ان كنّ أندادها أو شبه أنداد
ارث العباقرة الافذاذ ان وقفوا
بين الجبابر كانوا شم أطواد

وعلى هذا النحو من التغنّي ببغداد والاشادة بأمجادها التي ملكت على الشاعر قلبه ، كما ملك تأريخها قلوب العرب والمسلمين في كل مكان ، يمضي الشاعر في حديث الخلافة وقوتها ، ومجد السيف ومجد الادب ، والعدل والجور ، وفي وصف ممتع لبغداد ونهر دجلة، ثم في حديث الى الشباب أمل العراق المرتقب ، كل ذلك في آية من آيات الفن الخالد ، الذي يجمع ذكريات الماضي الى واقع الحاضر الى أمل المستقبل ، وهي صورة لاستغراق الشاعر في تجربته ، وفي تعبيره عما يجيش بنفسه نحو بلده الذي لا يفتأ يذكره في الرائع الغالي من شعره ، ثم تبحث عن تحية الشعر لأضياف بغداد ، فلا تجد لهم ذكراً الا في أول نداء « أضياف بغداد هذا وجه بغداد » ثم حين يصحو بعد جولة التاريخ ليقول لهم :

أضياف بغداد أوجزتم زيارتكم
عدوا بطول زيارات وترداد
طوفوا ببغداد لا يلهب مشاعركم
ما شاقكم من حديث الرائح الغادي
واستعرضوا وجه ماضيها وحاضرها
بما شهدتم وكونوا خير أشهاد

وعلى ذكر بغداد ، والمناسبات في شعر حافظ ، لابد من الاشارة الى خريدته الكبرى ، وهي قصيدته « بغداد » التي جعلها رأساً لهذا الديوان ، وقد أنشدها في مهرجان الكندي سنة ١٩٦٢ ، ومطلعها :

كفى سؤدداً ان يستهل بك العهد	وحسبك يا بغداد ما رسم الخلد

وقد طوّف فيها بتاريخ بغداد في ازدهاره وفي اعتكاره ، وأشار الى الاحداث الكبار التي ألمت بها ، وذكر أقطابها في الدين والخلافة والسياسة والفن والشعر والحكمة . وهذه القصيدة أشبه ما تكون بخريدة شوقي التي جعلها مفتتح شعره في « الشوقيات » وسماها « كبار الحوادث في وادي النيل » وتحدث فيها عن تاريخ مصر في زمان الفراعين وتحت ظلال العرب والمسلمين ، ولا سبيل الى الموازنة بين القصيدتين في هذا المقام .

وأحر بحافظ أن يمجد بلده هذا التمجيد ، وأن تحتل بغداد من ديوانه مقام الصدارة ، وأن يقول في أخرياتها :

لغيرك يا بغداد لم يهف جانحي	ولا شاقني في غير ظلك أن أشدو
ولا طاب لي في غير دجلة مرتع	ولا لذّ لي في غير شاطئها الورد
اذا حلّ بي ضيم فعفتك مكرها	رجعت وأدهى الضيم ما ضامني البعد
وكيف اصطباري عن حنان ربيبة	سريراي في أحضانها القبر والمهد

وان كانت بغداد تجد في لبنان منافسا خطيرا ، كما سنرى عند الاشارة الى لبنانياته .. وتبحث عن الكندي في قصيدة الكندي تجده قد ضاع في موكب الفلاسفة من العرب والمسلمين لتبقى بغداد التي ملكت على شاعرنا قلبه ولبّه !

ولذلك تفوت المناسبات ، ويبقى هذا الشعر النابع من القلب ، تجد النفس لذتها في قراءته ومتعتها في استعادته في كل أوان ، وهذا هـو الشعر الخالد الجدير برواية الاجيال ، وينشد حافظ مع الشاعر القديم :

انى اذا قلت شعرا مات قائلـه   ومن يقال لـه والشعر لم يمت !

* * *

وحافظ جميل على الرغم من حياة العزلة التي يحياها والتي أشرت اليها فيما سبق يعيش هذه الحياة بطولها وعرضها فيما يقرأ وفيما يسمع وفيما يعيش معه من ذكريات الشباب التي لا ينساها ، وهو من أوفى الناس لذكرياته ، وان تباعدت مواطنها ، وان أشاحت عنـه أشباح أصحابها فليس غريبا أن يظل وجدانه ينبض ، بل أن يتحـول هـذا النبض لهبا كلما تقدمت السنون ، وقد تكون الثمالة أعز ما في الكأس ، وعلى ذلك يكون «اللهب المقفى» أثرا من آثار اشتعال الذكريات بين حنايا الشاعر ، وهي ذكريات غنية استطاعت أن تملأ هذا الديوان شـعرا وأفكارا وعواطف ، وتستطيع أن تملأ بعده دواوين ، بل ربما كان التهاب الذكريات أشد اشتعالاً من وميض الواقع الذى ينال فيه القادر ما يتشهّى !

وأحسب الدليل واضحاً في قصائد الغزل المبثوثة في هذا الديوان وكلها قصائد ذكريات فيما أرى ، وأولها قصيدته « أطياف » ثالثـة قصائد هذا الديوان ، وفيها استغراق في استعادة صورة من صور الهوى الغابر ، كقوله فيها :

هل عرف الناس وهل آنسـوا   راحـاً مـن الحبّ كراحينـا ؟
راحـاً اذا جـالت بأرواحـا   صـبّحن في سـكر ومسّينا

راحاً ولا كالروح في لطفها ... أسرت الى الخلد بروحينا
لفّت ذراعينا على ضمة ... كأنها تلحم شطرينا
اذا ارتوت من ريقة ريقةٌ ... أظمأها حرّ عناقينا
أو تعبت من شمة شمةٌ ... أنعشها طول اشتياقينا
أو ثملت من قبلة قبلةٌ ... حامت فحطت فوق ثغرينا
واضطرمت أنفاسنا جذوة ... تحرق اذ تحرق خدينا
وارتعشت أوصالنا نشوة ... نحسها بين ضلوعينا
نخشى مغبات هوى فاضح ... فنجعل الصمت حوارينا

الى أن يقول :

لعلّ ما ننفثه من أسى ... يأسو قليلا من جراحينا
واحسرتا تندب طول المدى ... أطياف لذات توارينا

أرأيت لو أن حافظا صوّر هذه الصورة في أوانها ، أكان يستطيع أن يزيد في ألوانها شيئاً ، أحسب أنه كان غير مستطيع أن يستجمع هذه الالوان في واقعها المحسّ ، ولكنها تجمعت واستقرت في عقله الباطن ، في عالم اللاشعور ، اذ زالت من عالم الحس أو عالم الواقع ، ثم قفزت الى ذهنه ، وانطلقت شاعريته تعبر عنها هذا التعبير المستقصى الدقيق ، بل اني لأحسب أنّ الثمل غير مستطيع أن يصف حاله الا اذا صحا من سكرته وأفاق من نشوته !

والتجربة نفسها ، أو محاولة اعادة التجربة بعد عشرين عاماً ، في قصيدته « بعد اللقاء » وهي من تجارب لبنان ، وما أكثر ما وعت ذاكرة حافظ من ذكريات لبنان :

واحتوانا جنح الدجى فاختلينا خلوة لا تتاح للنساك
وسمرنا وليس غير شجوني من حديث وليس غير جواك
واعتنقنا وقد تبلل خدي يا لخد منديله خدّاك
وسجا الليل غير نجوى عشيق لعشيق وبث شاك لشاك

ثم امعان في وصف ما كان ، كما كان في قصيدة الأطياف ! وبعدها ثورة الغيرة ، حين يرى « وفاء » وقد تنكرت لحبها القديم ، خشية أن يحسّه صيدها الجديد :

ولم السخط ان جعلتك قربي وسهونا فمسّ ردني رداكِ ؟
ولم الذعر ان نأى بك عني ورآني وراءه ووراك ؟
وهل الحب أن أموت وأحيا بين اشفاقه وبين رضاك ؟
وهل الحب أن أجامل خصمي وأهنّيه في سبيل هناك ؟

وندع هذا الغزل ، غزل الشباب ، الذي أودعه الشاعر صفة تجاربه التي لاينساها ، الى غزل الاكتهال ، ولا أقول الشيخوخة ، فان فيه نغمة الصفاء الجديرة بالسن التي بلغها شاعرنا الكبير ، وذلك غزله في « آمال » التي نراها في عدد من قصائد هذا الديوان ، ومنها «نجوى» ص ١٣٢ وقصيدته « في سطور » ص ١٤١ ، وفي الأولى أثر الحبّ الصادق الذي يختلف كثيراً عن هوى اللذة الذي رأيناه فيما سبق ، فقد حال جمالها عنده معاني ، وصارت مفاتنها أفكاراً مجردة ، وان بدت في صورة محسّات هي في الحقيقة رموز لتلك المعاني :

ما افترّ لي وجهك عن حسنه الا تدلّهت بمعناك
من أين للخمرة هذا الجنى يملأ من فتوته فاك

من أين للزهرة هذا الشذا ان نفحت بالطيب ريّاك
من أين للؤلؤ هذا السّنى يلمع من غرّ ثناياك

والشاعر نفسه يعرف حبها العذري الطاهر كما يعرف حبه اياها ، بل انه يحبها ويحب أباها ، بل ربما كان حبها نتيجة لصداقته لأبيها :

(آمال) ما أعذبها لفظة تنعش آمال معنّاك
ما وقعت عيني على خلة فيك ولم تعشق سجاياك
قلبي فدى قلبك من طاهر سيماه في ظاهر سيماك
سلي أباك البرّ وليق لي فمثلما أهواه أهواك
سليه من أوحى الى قلبه أنك آمالي فسمّاك ؟

وفي الأخرى « في سطور » وصف مثير للفاكهة المحرمة ، أو لآمال في تيهها ودلّها ، وهي تروح وتغدو بين عيني الشاعر الذي يسرع الى الستين !

وأذكر أنني سألت حافظا ذات مساء ، ونحن في بيته الأنيق ، يمتعنا بهذا الشعر العذب الرقيق عن غايته من هذا الشعر الحار الفياض بالعاطفة الذي يبدو فيه أثر الانفعال بالتجربة ، ولا تبدو فيه آثار للصنعة والتكلف ، وكان مما قال : « وماذا تريد مني بعد أن وصلت الى السن التي لا تحبّب الي الحياة بغير حبّ ، أو على الاقل التمتع بجمال الحياة ، والاطمئنان الى أن نفسي لا تزال عامرة بالحب ، الا أن أقول مثل هذا الشعر لأبدّد شيئاً من آلامي ، وأفرح باستعادة ذكريات شبابي ، لاسيّما اذا أتيح لي جوّ أستطيع فيه أن أكشف عن أحاسيسي بصدق واخلاص ، قال شوقي :

قد كان فيــك لودّهنّ بقيــة   واليــوم أوشكت البقيــة تنفــد

فاسمح لي أن أحتفظ بهذه البقية قبل ان تنفد » !

قلت له : « هذا فيما يتصل بك •• فما أمل ذلك الذي أحسست عاطفته نحوك » ؟ فأجاب : « لقد أثبتت لي قصائدي في هذا الباب أنها ألهبت عواطف من أغنى بهنّ ، وأنشد لهنّ هذا الشعر ، ان الكثيرات كنّ معجبات بشعري كما لو كنت شابا بعد ! بل ابي وجدت من بعضهن تجاوبا عاطفيا يكاد يصل الى مرتبة الحب » !

ويضيف حافظ : « لا أزال احتفظ بروح الشباب ، واذا رأيت صورة حبيبن رأيتني فيها •• » •

* * *

وندع شعر الحبّ ، شعر العاطفة الصادقة ، الى اللون الذي يجيء أولا في شعر حافظ ، وهو فيه أكثر تبريزاً ، لانه به أكثر ولوعاً ، وهو الشعر المقدّم عنده ، وأعنى به الخمر التي عنى حافظ بوصفها ، ولم يخف هيامه بها ، بل يعدّ الحياة بدونها عبثا لا يطيقه :

أي عبء عليك هــذا النهــار   لا ندامى بـه ولا سـمّار

أجمـال الحيـاة غـير نـديم   تصطفيه وغـير كـأس تـدار

وحبيـب اذا تنفـس هبّـت   مـن نواحيـه نسمة معطــار

ولبئس النهــار ان هامت النفس   فــلا حانــة ولا خمّــار[1]

والخمر في هذا الديوان أسعد حظا من سائر الفنون التي عنى بها شاعرنا ، وبين قصائد هذا الديوان أربع من القصائد الجيــاد في

(١) من قصيدته (شاعر وعقار) ١٥٠ •

الخمريات يحلّق فيها حافظ الى القمة ، وهي قصائد خالصة لوصف الخمر ومجلسها وكأسه التي لا يملّها ، وهي قصائده : مع الراح (٤٩) وكأسي (٩١) وشاعر وعقار (١٥٠) وخمر وسهر (١٥٤) • وقد أخلص حافظ تلك القصائد لذلك الفنّ ، عدا ما تناثر من وصفها في ثنايا قصائده الوصفية وقصائده الوجدانية •

وفي تلك القصائد تتكامل الشخصية الخمرية بكل جوانبها ومقوماتها ، بل ان معالم هذه الشخصية تتكامل في كل واحدة منها على انفراد ، فهو لا يطيق ساعة تنقضي من عمره من غير الراح والأنس بها ، ولا يعد تلك الساعة من يومه ولا غده ولا أمسه ، بل يعدّها مبتوتة من عمره :

تبّاً لعمري ان مضت ساعة	منه بلا راح ولا أنس
لا تلك من يومي ولا من غدي	حتى ولا المقبور من أمسي
حسبي هياماً فيك أن أجتلي	مرآك ما أصبح أو أمسى
وأزدري الدنيا وما خبأت	لي في غد من طالع نحس

ولا نعرف على وجه التحديد الظروف التي دعت حافظا الى الولوع بالراح ، والهيام بالكأس ، حتى استبدّت به ، وجعلته واحداً من ألافها ، وعلما من أعلام مطريها وواصفيها في سائر العصور ، وان كنا نرى في شعره دلائل الهيام المبكّر بها الذي يرجع الى أول عهده بالشباب ، بل الى ما يسبقه من أيام الصبّا ، انه يذكر في أكثر من موضع أنه واصلها خمسين ففي قصيدته « خمر وسهر » يقول :

وفيت يا راح فلا تغدري	ما دمت في حبّك لم أكفر

أفنيت عمري فيك لم أفترق — عنك ولم أسأم ولم أضجر
زيّنت لي السكر ولذاته — حتى انقضى العمر ولم أشعر
خمسون لم أعرف بها ليلة — فارقتني فيها ولم أذكر

وفي قصيدته « كأسي » يقول :

يا لك من بيضاء حيبتِ لي — حتى بياض الشيب في رأسي
واصلتني الخمسين لم تضجري — والغيد يضجرن من الخمس

وقد تكون الخمسون من مبالغات الشعر ، بل هي لاشك كذلك ، والاعداد لاتعني مدلولاتها المحدودة في عالم الشعر والفن ، وانما تعني الكثرة والاتصال ، كما يقول في قصيدته « مع الراح » :

عكفت الدهر أجزيها عناقا — وتقبيلا وشمّاً واحتساءَ
أواصلها كما يسعى تقيّ — لمسجده صباحاً أو مساءَ
ولو أدى كتأديتي صلاة — بموعدها لما صلّى قضاءَ
وهل سيّان من أدّى فأوفى — ومن أدّى فأوجزها أداءَ

وهي مقابلة طريفة ، تؤكد حرصه عليها ، ووفاءه لها ، بحيث لا يدانيه في الحرص والوفاء للشراب حرص ذوي الورع على صلواتهم !

وفي شعر حافظ ملامح من فلسفة أبي العلاء وتشاؤمه من الحياة ، ومن المجتمع الذي عبّر حافظ كثيرا عن علله وآفاته وعن مصارع الأخلاق فيه . وقد أخفى ذلك التشاؤم عن الشاعر كثيرا من مفاتن الحياة ومباهجها على الرغم من احتفاله بها ، وعبّه منها ، وهذا هو

الفرق بين حافظ وأبي العلاء ، فان أبا العلاء قد زاول تلك الفلسفة نظرا في كلامه وفي شعره ، كما زاولها سلوكا في حياته وزهادته وصدوفه عن الدنيا التي عدّ وجوده بها جناية عليه .. أما حافظ فانه يجسّد معالم الشر ، ولا يجد لنفسه ملاذاً الا في أحضان الكأس تذهب في ومضاتها أشجانه ، وتذوب في رشفاتها همومه ، استمع اليه :

ألا ما كان أعظمني شقاءً	وأكثرني بلا سكر عناءً
وأنزلني على أحكام دهر	قضى ألاّ أرد له قضاءً
وهل كالراح من تلقاه عوناً	على البلوى ودرعاً واتقاءً
وهل كالراح من محمود عقبى	لمن ساءت عواقبه وساءً
لئن عانيت صرعتها طويلا	كفاني أن وجدت بها العزاءً
وكم في زحمة الآلام صاح	رأى في سكرة الموت انتشاءً
نظرت فلم أجد كالراح طبا	لمن فقد الطبابة والدواءً
جزاها الله كم غماء حزن	جلت عني وكم بعثت رجاءً
وكم ناديتها لعصيب يوم	فما برمت ولا ردّت نداء

واستمع اليه في قصيدة « كأسي » يقول :

كم غمة باللهو فرّجتها	تستنفر الموتى من الرمس
وأي رجس هو أن تحتمي	من جور أيامك بالكأس
يا حبّذا الرجس اذا لم يكن	بدّ لدنياك من الرجس

هذه الآلام عند حافظ مدعاة عكوفه على الخمر ، وهي التي دفعته كما دفعت غيره من هواتها الى الفرار من الواقع المرّ ، والتحليق في

أودية الخيال ، وتعمد البعد عن عالم الوعي والشعور الى حيث يظنون المتعة والسلوى في صحبة الراح ، وفي مجالس الأنس والطرب .

* * *

ولكن أين هي الآلام في حياة حافظ ؟ انّ تلك الآلام لا يمكن أن تكون آلام الحاجة أو العدم التي كست شعر المعدمين مسحة من الألم والكآبة ، فقد عرفته صاحب سيّارة فخمة ومنزل أنيق يحيا حياة الموسرين الذين لا يقترون على أنفسهم ، ولا على المتصلين بهم ، وعرفته يبرح بغداد في شهور الصيف ، فراراً من حرها اللافح الى حيث يطيب له المقام في لبنان وفي غير لبنان ، وهناك يحيا حياة الترف الخصيب ، ويعيش عيشة ناعمة ، ومثل ذلك يستعصى على الفقراء وعلى أوساط الناس .

لابد أن تكون تلك الآلام آلاماً نفسية ، ورواسب كامنة في أعماق نفسه الشاعرة ، وقد حاولت أن أعرفها من شعره ، فعزّ عليّ طلابها ، وحافظ نفسه يقرر ان الاجابة على هذا السؤال صعبة للغاية ، ولكنه مع هذه الصعوبة يقول انه يستطيع أن يردهذه الآلام الى أنه فقد أمه وهو في دور الفطام ، وان أباه لم يجد مندوحة عن أن يكل أمر تربيته ورعايته الى زوجته الثانية ، وهي خالته . ويقول حافظ ان تصرفها معه لم يخل في أكثر الأحايين من شدة وعنف كان لهما الأثر البليغ في نفسيته وفي احساسه منذ الطفولة .. والى الحبّ الذي كاد يطفىء شعلة حياته ، فقد وقع كما يقول « في سلسلة حب طويلة عريضة ، بدأت منذ سن المراهقة ، ولما تنته حتى الآن ، يقول : كنت أطوي صفحة حب مؤلمة ، لأعود فافتح صفحة أخرى جديدة أشد منها قسوة وألما ، وحسبي أن أخاطب

قلبي في مثل هذا المعنى ، فأقول من قصيدة « تحت الدخان » :

يا قلب حذركَ من ضعيف وادع ان شام فيك وداعة لم يرحـــم
أئذا شكوتك قسوة من ظالـــم قيضت لي أضعافها من أظلـــم

•• ثلاثون سنة أو يزيد لم يخل فيها قلبي من الحبّ لحظة واحدة •• انها قصة حبّ متصلة غير مفرغة الحلقات ، أبطالها عشرات النساء ، وأنا القائل :

أروح ولي فيهن ألف خليـــلة وما كان من مثلي ليقنع بالعشـر
اذا انفلتت مني لهـــن ابتسامـة تهلّل حتى باطن الوجه بالبشـر
وان بتّ قلبـــي حبلهنّ تعلقت به ألف خنساء تنوح على صخر »

قلت في نفسي : أيّ حبّ هذا ؟ ما أشبه صاحبنا بعمر بن أبي ربيعة ! ويستطرد حافظ في ذكر دوافع آلامه وهمومه التي لا يفتـأ يذكرها في شعره ، ويتخذها ذريعة لخمره ، فيقول « هناك سبب ثالث ، هو الطريقة التي كنت أحد ضحاياها بين أكثر الأولاد الذين يبعث بهم آباؤهم وذووهم آنذاك الى «الملاّ»[1] ليتعلموا مبادىء القراءة والكتابة ، فكثيراً ما كنت استيقظ من نومي في منتصف الليل مذعوراً أرتجف ، وخيال « الملاّ » ماثل أمامي ، وهو يحاول أن ينقض بعصاه الغليظة على لحمي ليشويه شيّا » قال : « وكنت أكاشف خالتي بهـذه الآلام المبرّحة التي تكاد تقضي عليّ ، فلا أجد منها غير الشماتة والرضا •• أمّا أبي فلم يعوّدني الجرأة في عرض مثل هذه الأمور عليه ، وكان خوفي من سخطه اذا ما شكوت له تصرّف « الملاّ » ـ وهو في نظره

(١) الملا عند أهل العراق معلم الصبيان في الكتاب .

المعلم والمؤدب والمربي ـ هو الذي يمنعني من أن أتقدم اليه بمثل هذه الشكوى » !

هذه هي الرواسب القديمة والذكريات الاليمة التي يفسر بها شاعرنا همومه وآلامه ، ولكننا لا نجد لهذه الذكريات ـ ذكريات خالته القاسية ، وذكريات الملا صاحب العصا ـ أثرا في شعر حافظ فيما قرأته له في « نبض الوجدان » ، أو في « اللهب المقفى » .. ولعله يريد أن يقبر هذه الذكريات بالفرار من شبحها الرهيب ، وان كنت أعتقد أنها أمور هينة ، لا تكون بهذه الدرجة التي تكون عقدا مستحكمة في قرارة النفس ، ورواسب لا تزول من أعماقها ، فهي تجارب يمر بها من لا يحصى من الناس ، وسرعان ما تزول آثارها بانقضاء أسبابها .

ولكن الذي أحسه أن في حياة حافظ فراغاً ، لم يستطع أن يملأه في قلب حافظ عشرات الأصدقاء ، ولا عشرات النساء .. وذلك ما لم أعرفه ، وأعتقد أنه لا يعرفه الا حافظ نفسه ، والا الله علام الغيوب !

وربما كان سر هذه الهموم ومبعث تلك الآلام أن حافظ جميل لم يستطع أن ينال ما كان يراه جديرا به من المناصب التي يتطلع اليها أمثاله ، والتي ظفر بها كثيرون ممن لم يكن لهم ما لحافظ من الثقافة والذكاء ، فقد حصل من علم العراق كثيرا مما يستطاع ، وحصل في لبنان أقصى ما يستطاع فقد نال درجة البكالوريوس في العلوم من جامعتها الاميريكية سنة ١٩٢٩ وهذا كثير في ذلك الزمن المبكر من تاريخ العراق الحديث ، ثم يعود الى العراق ليعين مدرسا للغة العربية في المدرسة الثانوية ببغداد ، ولا يلبث قليلا حتى ينقل الى البصرة لقصيدة أنشدها ولم تعجب حكام البلاد اذ ذاك ، فيضطر الى الاستقالة ،

ثم يعاد تعيينه موظفا في الضرائب ، ثم في غيرها حتى يستقيل نهائيا من تلك الوظائف التي لا تناسب ثقافته ولا كفايته ولا طموحه ، وقد رأى الذين من دونه كفاية يصلون الى أرقى المناصب حتى منصب الوزارة بأسباب ليس منها المعرفة ولا الكفاية . انني أجد صدى الألم العميق الذي كان يحسه حافظ من جراء ذلك في قصيدته « نسر الشباب » ١٧٠ وهي التي وجهها الى صديقه جميل عبدالوهاب حينما ولي وزارة المواصلات سنة ١٩٤٥ وفيها يبثه لواعج أحزانه ، وينفس فيها عن الألم الكمين في قرارة نفسه ؛ اذ يقول :

حسبُ المناصب أن تسام رخيصة ... للراغبين ، وأين من لم يرغب ؟
لو كنت أملك خِسّةً لشريتها ... وجعلتها سندي وباب تكسبي
أترى أفوز ولو بطيف خيالها ... يا بُعد ما حاولت من متطلَّب
من أين لي شرف الشمول بلطفها ... مادمت لا عمّي الوزير ولا أبي ؟
فضل الحصافة والثقافة والحجى ... من دونه فضل القريب الأنسب
وأخو الكفاءة من يكون منافقا ... أو خائنا أو طائفيّ المذهب

أعتقد أن هذا السخط الذي أدى بشاعرنا الى اليأس كان له أبعد الأثر في حياته الحزينة التي يحاول دائما أن يفر منها الى الكأس أوفَى أصدقائه ، وأخلص أوفيائه .. وفي هذا الشعر الخمري الذي كسب منه الأدب الحديث ثروة فنية لا تقدر ، من عاشقها المستهام التي ملأت فراغ حياته ، كما ملأت عروقه وصدره :

مزرت لعابها فسرى بجسمي ... يروّى فيه أحشاي الظماءَ
وجاوزهنّ فامتلأت عروقي ... وكاد البعض ينفجر امتلاءَ

كأني ما هممت بـه ليبقـى بجسمي قيد انملة خـلاء
فلو عصر السقاة دمي ولحمي تعذّر أن يروا في الخمر مـاء
عجبت وما عجبت لغير صـدري أخمـراً مـا تنفس أم هـواء !

ومع كل هذا الاستغراق في تجربة الخمر ، والاغراق في نعتها ، لم تستطع الخمر أن تزعزع ايمان شاعرنا بربه ودينه ، فلم يشربهـا كافرا ، ولم ينعتها جاحدا ، ولم ينكر أنها معصية ، بل هو يضرع الى الله دائما أن يغفرها له ، ما دام لم يقو على مجاهدتها :

ليـدّع الناسـك ما يدّعـى وليـزدر الصـالح ما يـزدرى
يا راح ، جلّ الله مـن غافـر ذنـبَ عظيـم الذنب مستغفر

ويعترف أنها أم الكبائر بما تزين من المعـاصي والآثام التي تستذرف عبرات الندم والحسرة على ما فرط في جنب الله :

فلولا الـراح ما عالجت سـقما • • • • • • • •
ولا قـارفت معصيـة واثمـا ولم أهـرع الى الله التجـاء
ولا رقرقت في الخلوات دمعـاً بعثت بـه الى ربـي دعـاء

★ ★ ★

وفي « اللهب المقفى » عدد من القصائد المخلصة للدعاء والتوبة والاستغفار ، وكلهـا آيات ايمان عميق بالله واليوم الآخـر والبعث والجزاء ، لا يدع مجالا للشك في سلامة معتقده ، واقراره بالذنب ، وشعره فيها أشبه بأشعار الصوفية المتبتلين ، ومنه في قصيدته « دعاء » :

ما اقتربت مـن أجلي ساعـة الا تخيّـلت عقوباتـي

من كان يرجو وصاله ، ومن أجود هذا الشعر قصيدته « ولى الشباب — ص ١٢٩ » وفي مطلعها يقول :

لا تبتئس ان جار دهرك	وتعاك في الخمسين عمرك
ولى الشباب ولم يدع	لك بعده شيئاً يسرك
قد كنت تسحر ان رنوت	فأين منك الآن سحرك ؟
أين افترارك كالربيع	اذا تبسم ؟ أين عطرك ؟

ثم يستطرد الى موازنات تفيض بالوجد والأسى بين عهد الشباب الذي ولى وما هو فيه من أسى الذكريات التي أخذت تتضاءل وتتلاشى بين عينيه .

* * *

ثم « لبنان » .. ولا أعرف شاعرا عربيا من غير لبنان ، أبدع فيه ما أبدع حافظ جميل الذي خصه في هذا الديوان بقصائد ، هي في الحقيقة قلائد في جيد لبنان ، نظم دررها ورصع جواهرها حافظ جميل بكل ما أوتي من براعة ، وما وهب من شاعرية ، وفي طليعة تلك الدرر قصيدته « لبنان — ص ٨٢ » ومطلعها :

ذر الدمع الملح يزيد وكفا	فما لك غير لبنان وتشفى
صبرت ولات مصطبر لنضو	أطل على منيته وأشفى
بلوت الحادبين عليك طرا	فلم تظفر بأندى منه عطفا
أظلك في الشباب فكان وكنا	وحاطك في المشيب فكان كهفا

وفي واحد وستين بيتا من هذا الطراز الفريد في الوصف ، العالى في أسلوب النظم وفي لغة الشعر يحلق حافظ في آفاق الشاعرية حتى

ويلي من الحشر وأهوالـه ان نشرت سود صحيفاتي

ويلي من الله اذا لم يتب عليَّ في أحرج ساعاتي

يا دعوة التائب مَن شافعي عند محيط بالشفاعات

هبكِ تشفعتِ فمن ضامن أني من النار بمنجاة

وأي جدوى لي من شافع ان كره الله ملاقاتي

يا دعوة التائب لا تقنطي فالله أدرى بالسريرات

وقوله في قصيدته « من الاك يا ربي » يناجي الله مناجاة المؤمنين ، مقرا بغوايته ، مؤكدا سلامة طويته وصحة معتقده :

لئن كنت على غيّ مع الغاوين من صحبي

فما كنت ولا كان عدوّ الله من حزبي

يقيني فيك ملء النفـ س في صحوي وفي شربي

ومن غيرك من يعلم بي يا عالم الغيب ؟

عبدتك غير مرتاب وهل في الحق من ريب !

وتتكرر نفحات الايمان ومعاني الصفاء في قصيدته « استغفار — ص١٣٩ » وفي غيرها من القصائد .

* * *

وحافظ جميل الذي قضى شبابه بين مسرات الحياة ، وأسام سرح اللهو في أفيائها أجدر الناس بالأسى حين يتولى ذلك الشباب بمباهجه ، ومن الطبيعي أن يستثيره هذا الرواح ، فيقرض في بكاء الشباب الشعر الصادق العذب الذي يفيض باللوعة لفقده . ومثله من يبكي الشباب ، ويبكي مسراته الذاهبة ، وقد وهن العظم ، وزهد فيه

يجاوز مداها بناء وأداء ، ومعنى وعاطفة ووصفا ، حتى أستطيع أن أقول في غير مجاملة لحافظ ، وفي غير انتقاص لقصائده الأخر ، انها أبدع قصائد الديوان ، وأنها لا تعدلها خريدة من خرائده •• لقد ملك لبنان قلب حافظ وعواطفه ، وعاش فيه أخصب فترات حياته ، شبابا وعافية وتحصيلا وصداقة وحبا في جوه الطلق ، وفي طبيعته الفاتنة ، وله فيه ذكريات عميقة ، تستحثه دائما على مواصلة الحب ، وعلى شد الرحال اليه في كل صيف ، ومن هنا التهبت عواطفه ، وتفجر منها هذا الشعر الرائع الخالد الذي يرفع حافظا الى درجة الفحول ، استمع اليه في هذه الأبيات :

خلوت أعدّ من صفحات عمري ... سنى لذاتها حرفا فحرفا
فلم أذكر من الخمسين منها ... سوى خمس تقضت فيك طيفا
ولو كتبت بأرضك لي حياة ... رضيت بنصفها وتركت نصفا
فما دنياي بعدك لي بعمر ... ولو عمرت بعد الألف ألفا
تنسك في حنيف هواك قلبي ... فعاف لذائذ الدنيا وعفّا
أراني حيث سرت أرى ضبابا ... سدلت به على عيني سجفا
وأحيا منك في وطني غريباً ... كأني قد نزلت عليه ضيفاً

وأدع لقارىء هذه القصيدة أن يتنقل بين هذه العواطف الثرة ، والذكريات الخالدة ، والأوصاف الممتعة ، ليجني بنفسه تلك القطاف ، ويعيش لحظات مع تلك النغمات التي تطرب وتشجي ، والتي يباهي بها لبنان ، كما يباهي بها أدبنا الحديث ، ولا أحسبه بعدها في حاجة الى مزيد !

* * *

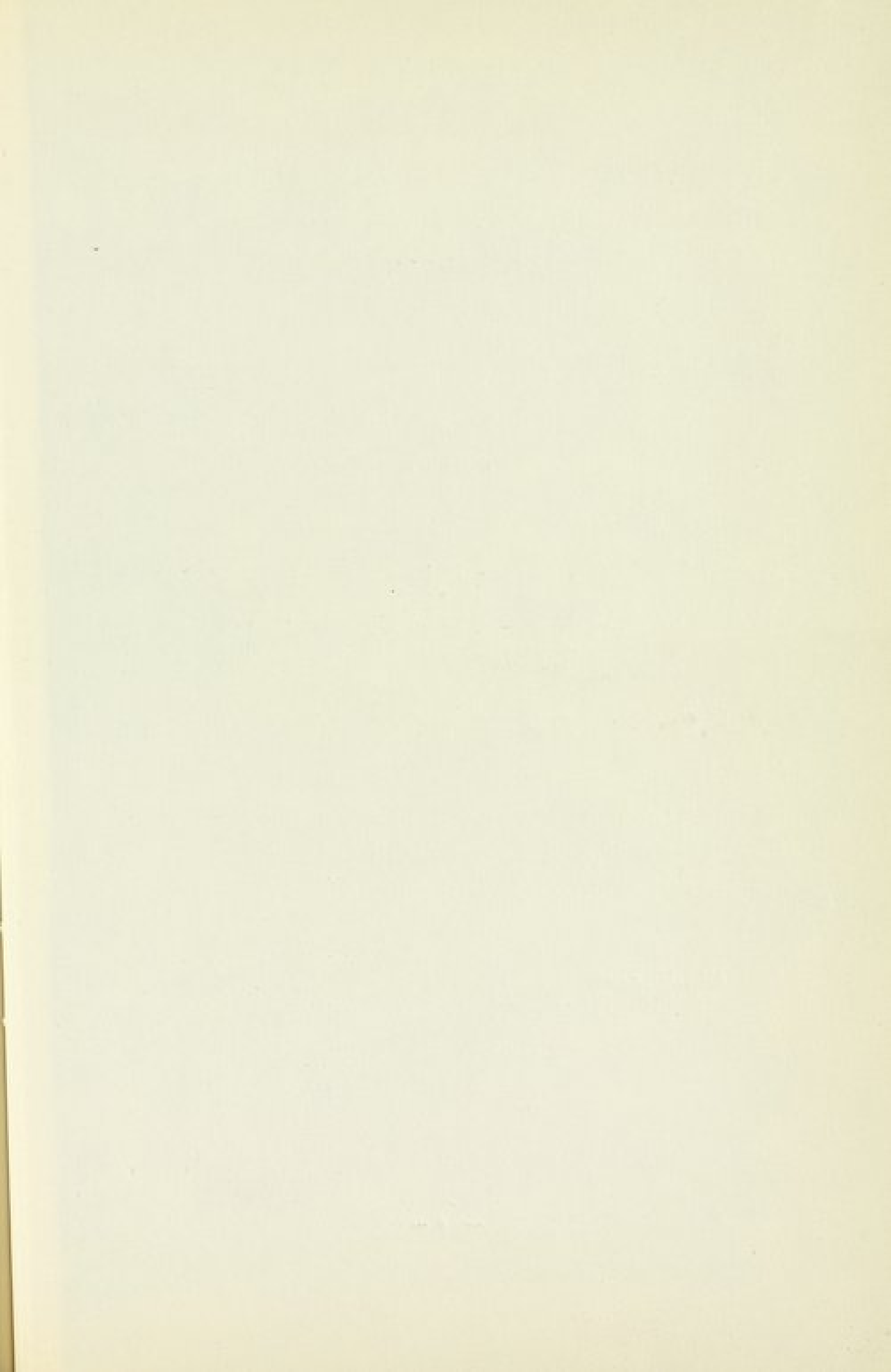
وقبل أن أثني عنان القلم أحب أن أقول ان شاعرنا لم تبهره دعوات الخروج على المأثور من أوزان الشعر ونظام القوافي ، وأنه استطاع أن يضمن هذه القوالب ما شاء من العواطف والاحاسيس التي يتدفق تيارها في كل قصيدة من قصائد هذا الديوان ، ولم تعي تلك القوالب بصورة من صوره ومعانيه الواقعية أو الخيالية ، ولم تستطع أن تحد من القدرة على سماحة الأداء مع الحفاظ على رصانة الشعر وقوة أسره وجزالة أسلوبه .

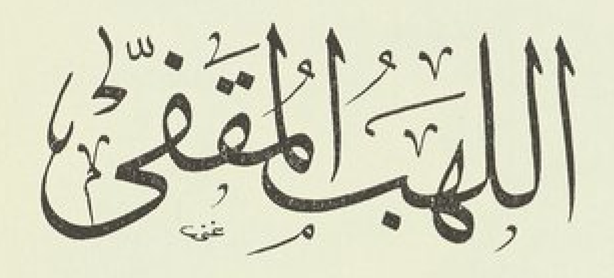
* * *

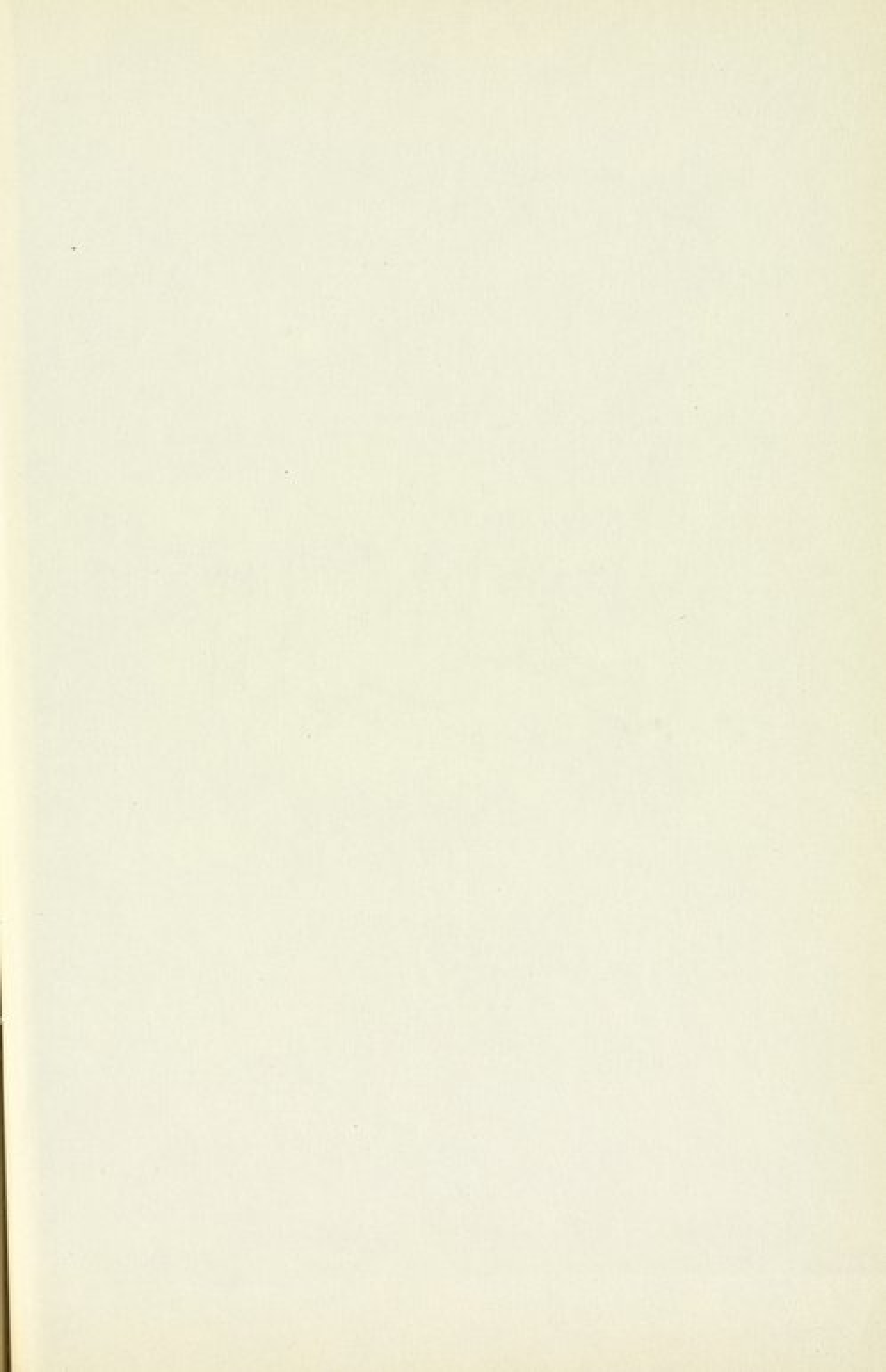
وأخيرا ، فلعلي استطعت في هذه الصفحات أن ألقى بعض الأضواء على شاعرية حافظ جميل ، وعلى ما يزخر به هذا الديوان من شعر العاطفة والوجدان الذي يعد شاعرنا في طليعة أعلامه المبدعين .

واذا لاحظ القارىء شيئا من الطول في هذه الكلمات ، فان مرد هذا الطول الى طول صحبتي لهذا الشعر ، واستمتاعي به ، ومحاولة الفحص عن دوافعه ومراميه ، واعتقادي أن حاجة القارىء الى الاشارة الكاشفة والى التفسير الموضح أهم من حاجة الشاعر الى مجاملة الصديق . والله ولي التوفيق .

بغداد ١٩٦٦/٥/٢٢ **بدوي طبانة**




اللهب المقفى





القيت في مهرجان بغداد والكندي
المقام في بغداد في أواخر ١٩٦٢

كفى سؤدداً أن يستهلَّ بكِ العهد
وحسبكِ يا (بغداد) ما رسم الخُلْدُ

طلعتِ على الدنيا ويا خير مَطْلَعٍ
بشائره العلياء والملك والسعد

وتوَّجت هام الشرق عزَّ حضارة
تتيه بها الأجيال فخراً وتعتدُّ

★

مشى الكاسر (السفّاح)[1] يحدو كواسراً

إذا برمت ألفت (أبا مسلم)[2] يحدو

تلاقت فدمّى ضيغم صدر ضيغم

وأشجع بآساد فرائسها أسد

تهاوى بنو عمّ ومالت أقارب

ولم يجدهم في الرّوع عمٌّ ولا جدُّ

فهل ذاد عن (مروان)[3] صيد (أميّة)

وثار (لآل البيت) (هاشمها) النجد

تنازع عزّ الملك (فهر)[4] و (فارس)

فمن هو عمرو في القتال ومن زيد ؟

---

(١) السفاح : هو ابو العباس عبدالله السفاح أول الخلفاء العباسيين وقد تم في عهده القضاء على الدولة الاموية .

(٢) ابو مسلم : هو ابو مسلم الخراساني احد كبار قادة الجيش العباسي وكان فارسي الاصل وهو الذي قام باعلان الثورةعلى الامويين .

(٣) مروان : هو مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية وقد تم في عهده القضاء على الدولة الاموية بعد مقتله .

(٤) فهر : هو فهر قريش جد الهاشميين والمقصود بالمعنى هو ان الذين تنازعوا عز الملك في الحقيقة هم العرب والفرس وان كان النزاع في الظاهر بين الهاشميين والعباسيين .

أبى أن يضحّي الكسرويّ بعرشه

ويعلو عليه غير رايته بند

دخائل لم تخمد مع النار نارها

ولم ينطفىء في كفّ قادحها زند

وكيف ينام الشرُّ خلف ضغينة

يؤجّجها كره وينبشها حقد

ولو أمن (المنصور) غادر نصلها

لما كان إلّا عُقْر لبّته الغمد

★

تباركت يا (بغداد) أمناً لآمن

وكيداً على من جال في قلبه الكيد

خلعت على (المنصور) ظلّك واستوى

على جانبيك الملك يعلو ويمتدُّ

ولألأت في تاج (الرشيد) جمانة

تظلّلها الرايات والفتح والجند

وعزّزت (بالمأمون) عرشك وانتهت
إليك معاريج(٥) الحضارة والمجد

مفاخر لم تبلغ علاها مفاخر
وسلطان عزّ ما لأطرافه حدُّ

تسامت فأعيا الطامحين منالها
وهل يُرتقى إلّا بأسبابه الطود ؟

ومن لك في الأعقاب إلّا خلائف
رعاديد إن همّوا مهازيل إن جدّوا

خلائف تزري بالملوك جلالة
وليس لها في الملك حلٌّ ولا عقد

زعانف لولا التاج فوق رؤوسهم
لما ذُكروا بين الهوام ولا عُدّوا

أحالوا على الأقدار نحس حظوظهم
كأنْ ليس في الدنيا جهاد ولا كدُّ

---

(٥) المعاريج : جمع معراج وهو السلم أو المصعد .

وما حيلة الأقـــدار في خطب عاجز

إذا فاته الاقـــدام أو خانه الجهـــد

فأيُّ زمـان ليس فيـــه مـكاره

وأيُّ ســـماء ليس في نوئها رعـــد

ولو كانت الدنيا مجالاً لراحـــة

لما كان مغزًى للحياة ولا قصد

فيا لتراث من فخار وسؤدد

تسرَّب من أهليـــه أعداؤه اللدُّ

بنى بســـداد الرأي ناس فعمَّـــروا

وأخلفهم من صدَّعوه ومن هدُّوا

★

تباركت يا (بغـــداد) للعزّ موئلاً

ومربض صيـــد كلُّ أيامهم ذود

خبرت من الأيَّام شتَّى وجوهها

فما غيَّرتك البيض منها ولا الربد

وقارعت من هوج السنين أشدَّها

عتوّاً فلم يخذلك من همّة عضد

فللّه من بأس يزيد على المدى

ثباتاً ويقوى في الخطوب ويشتدُّ

فللت من العهد (البويهيّ) كيده

بصارم بطش لا يُفَلُّ له حدُّ

وكافحت من سلطان (سلجوق) شرَّ ما

تعوَّذ من أمثاله الصابر الجلد

وهزَّ (هلاكو) صرح عزِّك عالياً

فأبصرت عالي صرحه كيف ينهدُّ

وراع غزاة (الترك) غيلك حقبة

وما لبثوا عند الصراع أن ارتدّوا

فيا لك من شمّاء عزّ تعاقبت

عليها الليالي وهي شامخة بعْدُ

تظلّين والدنيا حديث وأهلها

حديثة عهد كلّما قَدُم العهد

★

تباركت يا (بغداد) ذخر حضارة

معالمها نور وأيَّامها رشد

كفى الشرق أن يحيا بذكراك ذكره

كأنَّك في تاريخه العَلَمُ الفرد

تخلَّت لك (اليونان) عن تاج عزِّها

وولَّاك عرش (الفرس) أربابه العِدُّ[6]

وشدَّت إليك (الصين) أعلاق رحلها

وأرست على شطَّيك آدابها (الهند)

بعثت (ارسطاليس) في غير يومه

ولم يَخْطُ (افلاطونَ) في أرضك الوعد

يساريهما نجمان في غور (كندة)[7]

وفي حَزْنِ (فاراب)[8] لنورهما وقد

---

(٦) العد : هو الكثير ٠

(٧) اشارة الى الفيلسوف العربي الكبير ابي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي وهو عربي الاصل من كندة ٠

(٨) اشارة الى الفيلسوف الاسلامي الكبير ابي نصر الفارابي وهو من فاراب ٠

وفجّرت في الوادي الخصيب بجرّة

من النور لا يحصي كواكبَها عدُّ

فيا لك دنياً من رشاد وحكمة

يبارحها وفد وينزلها وفد

على عتبات العلم منهم خلائق

وفي حجرات الدين من لِّمهم حشد

الى جنب (عدنانيّهم) (حبشيّهم)

فليسوا سوى نِدّ يجالسه نِدُّ

سواسية في قاعة الحقّ أخوة

وليس مع القرآن حرٌّ ولا عبد

يلوذ بتقوى (الشافعيّ) تقيّهم

ومن خلق (النعمان) إيمانه الصلد

فلا العسف أوهى (الكاظمين) جلادة

ولا السوط في ظهر (ابن حنبل) والجلد

شعائرهم عند الصباح تلاوة

وفي قائم الليل التسابيح والوِرد

كرام على المعروف راضوا نفوسهم

وشابت نواصيهم وما شابهم إدٌّ(٩)

وأنصار حقّ لم يراود قلوبهم

على البغي كسب في الحياة ولا صيد

وكم عاث باسم الدين في الأرض مفسد

وناح على الاسلام في الكون مرتدٌّ

*

تباركت يا (بغداد) للشعر أيكة

كأنّي بها حتّى أفانينها تشدو

على كلِّ فرع رقصة لمهلهل

وفي كلِّ غصن من تهاليله ميْدُ

جلا في مجانيها (ابن برد) عرائساً

من الشعر يكسوهنَّ من سندس بُرْدُ

ونادمها (الطائيّ) رود خمائل

مساقطهنَّ الطلّ والنسمة الرَّوْدُ

---

(٩) الاد : هو الامر الفظيع أو الداهية .

إذا نزلت ساح (الوليـد) تبخترت

وفي جيدها من كلِّ نادرةٍ عِقْد

وإن غشيت ظلَّ (الرضيّ) تضوَّعت

أفاويهَ طيبٍ من نَداوته النَّدُّ

حَشْنَ الى (الرومي) خود قيانه

وما انْتسبت للروم من بينها خَوْد

وصفَّقن (للمعتزِّ) عُجْباً فما اسْتوى

على العرش حتَّى صفَّق الصدرُ والخدُّ

وعُجْنَ على (مهيار) يزفرنَ لوعةً

وينضح من أجفانها الحزن والسهد

وطارحن بالشجو (العتاهيّ) فاشْتهى

لو اخْتيرَ للزهَّاد في ظلّها اللَّحْد

وما برح (العبَّاس) في كلِّ دارةٍ

حديث العذارى ما يروح وما يغدو

وللَّهو من رهط (النواسيِّ) ضجَّة

وقرع أباريق وأغلمة مُرد

ورقصُ غـواني (مســـلمٍ) وإخـالـه

من الوجد أن لا بدَّ يصرعه الوجد

وسكـر (مطيعٍ) ما يفيقُ كأنَّما

تعلَّقــه خصــرٌ وعانقــه زنــد

وقهقهـةُ (الضحَّاك) والشَّرْبُ نُـوَّمٌ

وصيحـاتُ (ديك الجنّ) والليل مسودُّ

وعربـدةُ المُجّان حـول (دلامــةٍ)

وتصخابُ (حمّـاد) وقد قرئ الحمد

حـديقـةُ شعـرٍ ظـلَّلت كلَّ فـرقـدٍ

وطـاف على نـدمانهـا الخمـر والشـهد

ونـــدوةُ آدابٍ حـوَتْ كلَّ باقـةٍ

من الزهر لا فسقٌ هناك ولا زهـد

★

لغـيرك يا (بغـداد) لم يهفُ جانحي

ولا شـاقـني في غـير ظـلّك أن أشـدو

ولا طاب لي في غير (دجلةَ) مرتعٌ

ولا لذَّ لي في غير شاطئها الوِرْد

إذا حلَّ بي ضيم فعفتُك مُكْرَهاً

رجعتُ وأدهى الضيم ما ضامني البعد

وكيف اصطباري عن حنانِ ربيبةٍ

سريرايَ في أحضانها القبرُ والمهد

أجوبُ من الأقطار أندى بقاعها

وشخصُك لي ظِلٌّ وحبُّك لي رَأْد

فما شغلتني عن نخيلك أيكةٌ

ولا رفَّ لي عن مثل أكمامها الورد

فيا لشتيتٍ جاور الخلد مسكناً

وما همُّه إلاَّ الى الوطن العَود

وأيُّ هوىً أبقى على العهد من هوىً

تنادمُ فيه أرضَ آبائها الوِلْد

لك الخلد يا (بغداد) ظلاًّ وساكناً

ولا جالَ إلَّا في مرابعك الخلد

صحو المشيب

لا تبكِ من ألمِ المُصابْ　　فلكلِّ مقدورٍ كتابْ

ولكلِّ يومٍ وعده　　لك في مجيىءٍ أو ذَهاب

دنياكَ هذي كلُّها　　وطرٌ وأحلامٌ رِغاب

ما أوصدت باباً ولم　　تفتح أمامَك ألف باب

فارفق بقلبك أن يظلَّ　　حليفَ همٍّ واكتئاب

ما العمر شهدٌ في أوائله وفي أُخراه صاب

هو بالفؤاد إذا صَبا　　لا بالمشيب ولا الشَّباب

كم نفحةٍ مسكيَّةٍ　　لكَ في العتيق من الشَّراب

وقـديمٍ ودٍّ كلّما　　طال الزمان عليـه طـاب

مـا طـائرٌ غنّى هـواه　　عـلى الأفـانين الرّطـاب

بأرقَّ منـه عـلى الـرّبى　　يـترنّمُ العجَبَ العُجـاب

ماذا يعوقـك إن جـريت　　وراء حبّـك من صعاب

وكشفت عن نزَوات قلبك　　لا قنـاعَ ولا حِجـاب

وهتفت بالغيـد المـلاح　　وإن عـزفْنَ عن الجـواب

وأبيت أن تعصي لهنّ　　مشـيئةً فيقـالُ : تـاب

وصممت أذنـك لا تُطيق　　سـماعَ لـومٍ أو عتـاب

وبدوت غضّـاً في الفـؤاد　　ولو هشـيماً في الأهـاب

أتظنُّ قلب سـواك من　　عَلَقٍ وقلبك من تـراب

من ذا يلومـك إن بَليت　　وظـلَّ قلبـك في وثاب

لم تخـلُ مهمـا عتّقت　　في الـدّنّ خمرٌ من حَباب

أتعـافُ دنيـاك الحبيبـةَ　　وهي ما برحت كَعاب

وتميـل عنهـا لا تزيد　　سـوى اعتزالٍ واغـتراب

وتبيت أظمأ ما تكون الى مراشفها العِذاب

وتُريق دمعاً كالغمامِ على فؤادٍ كاليباب

وتروحُ لا أجراً كسبت على شقاك ولا ثواب

إلّا مزيد تعاسةٍ وندامةٍ يومَ الحساب

ماذا تهاب وكان عهدك في الصِّبا أن لا تهاب

أتهابُ إن علق الهوى بك أن يصيبك ما أصاب

ولمن تعيش وأنت من غُصص الهوى خالي الوطاب

ولمَ الحياةُ بلا سهادٍ أو سقامٍ أو عذاب

هل مات قلبك في حشاك فلا خفوقَ ولا اضطراب

وارتدَّ كالحجر الأصمّ فلا يذيب ولا يذاب

ودَعْ إذن دنياك لا غرضٌ لديك ولا طِلاب

يكفيك أنَّك قد مررت بأُنسها مَرَّ السَّحاب

أطياف

من أَينَ أشري الدمع من أَيْنا

أبكي به سالفَ عهدَينا ؟

أبكي به ما مات من أمسنا

وما سيبلى من جديدينا (١)

إيهٍ أمانينا التي ودَّعت

ولم نكن بَعْدُ تمنَّينا

أكلّما جدَّت لنا فرحةٌ

أجريتها دمعاً بعينينا ؟

لم ندَّكر منكِ ولا ساعةً

تمَّ بها أنس لقائينا

(١) الجديدان ، هما الليل والنهار .

لو بَعُدَ أقصى البين من فرقةٍ

جشّمت أقصى بيننا البينا

هام الأحبّاءُ وجازوا المدى

ونحن في أوّل شوطينا

لو روجعت أيّام لذّاتنا

لم تعُدْ طيفاً في منامينا

*

يا زورةً كالطيف لم تكتمل

أفراحها حتّى تلاشينا

لم نحتفل فيكِ سوى ليلةٍ

هل كنتِ (نيروز) (٢) حياتينا ؟

بتنا دجانا نتعاطى الهوى

فكان أشهى ما تعاطينا

هل عرف الناس وهل آنسوا

راحاً من الحبّ كراحينا ؟

---

(٢) أول يوم من السنة الشمسية وهو عيد الفرح عند الفرس .

راحاً اذا جالت بأرواحنا

صبّحن في سكر ومسّينا

راحاً ولا كالرّوح في لطفها

أسرت الى الخلد بروحينا

لفّت ذراعينا على ضمّة

كأنّها تُلْحِم شطرينا

إذا ارتوت من ريقةٍ ريقةٌ

أظمأها حرٌّ عناقينا

أو تعبت من شمّةٍ شمّةٌ

أنعشها طول اشتياقينا

أو ثملت من قبْلةٍ قبلةٌ

حامت فحطّت فوق ثغرينا

واضطرمت أنفاسنا جذوة

تحرق إذ تحرق خدّينا

وارتعشت أوصالنا نشوةً

نحسُّها بين ضلوعينا

نخشى مغبَّات هوىً فاضحٍ

فنجعل الصمت حِوارينا

هيهات تغرينا ولو همسة

تكشف من سرِّ غرامينا

فليس ما نُفشيه من حبِّنا

إلَّا اختلاجات فؤادينا

نكاد إن شبَّت لنا آهةٌ

نخمدها وهي بصدرينا

فليس يَغْشَى السمع من بثِّنا

إلَّا صدى دقَّات قلبينا

كأنَّ ما يُفضي به صمتنا

أبلغ من شرح لسانينا

★

يا نشوةَ الأمسِ وأحلامَهُ

أيذهب الأمس وتبقينا ؟

ويا تباريحَ صباباتنا

أفي ظِلال البين تحيينا ؟

ولَّت ليالينا وأفراحها

وراحَ من غنًّى وغنَّينا

لم يبقَ ما نُحيي به ليلنا

إلَّا مناجاة شقائينا

لعلَّ ما ننفثه من أسًى

يأسو قليلاً من جراحينا

وا حسرتا تندب طول المدى

أطياف لذَّاتٍ تَوارينا

شظايا الثورة

بمناسبة الثورة العراقية
في ١٤ تموز سنة ١٩٥٨

أيُّ حصنٍ قحمتَ في الديجورِ
وطغاةٍ رميتهم بالثبورِ
أيُّ صرحٍ للمستبدّين قوّضْتَ
وتاجٍ عفّرته وسرير
أيُّ عهدٍ داجٍ طويت مع الليل
مسجّىً بحلمه المقبور
أيُّ فجر ضاحكتَ فيه سنى الفجر
بأبهى من السنى والنور

*

طال صبر الأحرار واستفحل الخطب

وجاشت أحلام ما في الصدور

وتمادى الأشرار في الكيد والبطش

وأعيت وسائل التحذير

غرَّهم زيف حكمهم فاستطالوا

فاحتكمنا لعاقبات الأمور

واستعنَّا بالحقِّ خيرَ معينٍ

واستجرنا بالعدل خيرَ مجير

من ملوكٍ جازوا السماء عتوّاً

وولاةٍ قد أمعنوا في الغرور

واغترار الولاة أدهى الرَّزايا

وعتوُّ الملوك شرُّ الشُّرور

أين أبراج عزِّهم شامخات

أين عالي قصورهم في القصور ؟

أين فضفاض عيشهم في (رحابٍ)

أين زخَّار أنسهم في (الزهور) (١) ؟

---

(١) رحاب والزهور قصران من القصور الملكية في بغداد .

أين صالات لهوهم ماتعاتٍ
بالأميرات منهُمُ والأمير ؟
هل حماهم من غضبة الله حامٍ
ووقاهم من سيِّىء المقدور ؟
كسح الموت جمعهم بسلاحٍ
رِيعَ من هوله سلاح الخفير

★

يا لَطاغينَ لم تعظهم صروف
لزمانٍ أو عِبرةٌ لدهور
طاولوا الله كبرياءً وها هم
دون أشقى عبيده في المصير
هالعاتٍ أرواحهم تتلظّى
في جحيمٍ من لعنةٍ مسجور
رائحات أشلاؤهم غاديات
في زحام كمثل يوم النشور
بين رأس مهشّم ولسان
متدلّ وساعد مبتور

وتليل(٢) مبضَّع وزنود

ملقيات وكلكل(٣) مجرور

تمسح الأرض جَيْئَةً وذهاباً

باحثات لنتنها عن حفير

جِيَفٌ قد تخلّت الأرض عنها

لم تجد مخبأً لها في القبور

ما عساها توقّعت من حسابٍ

يوم تُدْعى الى الحساب العسير ؟

أَتُراها لم تذّكر هول يوم

يثأر الله فيه للمثؤر ؟

كم أطاحت بأرؤس وأراقت

من زكيّ من الدماء طهور

وأسالت من أدمع وأذابت

من كبود وأحرقت من صدور

---

(٢) التليل : العنق ٠

(٣) الكلكل : الصدر ٠

وأراعت من آمنٍ وأدانت

من بريءٍ ويتمت من صغير

دِيَــةٌ أُرجِئت لِيُـــدْفَعَ عنها

ضعفها من جماجم ونحور

★

نفد الصبر واَّستحال مع الأشرار

غــير الســلاح من تدبير

عصبــةٌ ما يكاد يحلم عصر

بأساليب غدرهم في العصــور

مســختهم أطماعهم وأماتت

كلَّ دعوى حِسٍّ لهم وشعور

كلَّما زدتهم رخاءً ويسراً

زدت أحمى شراهةً من سعير

وترى الناس لا ترى غير خَلْقٍ

ميِّتٍ قبــل يومــه محشــور

بين طاوٍ يمشي الى جنب عارِ

وحسير يمضي وراء كسير

وشقيٍّ في الهائمين شريد

مستغيث بربّه مستجير

وسجين يستصرخ الظلم عدلاً

وطليق في بيته محجور

وطريد ملاحَقٍ بعيون

هارب من خيالها مذعور

وظنين مضى يؤدّي حساباً

لا يُؤَدَّى لمنكر ونكير

موبقاتٌ لم تبْقِ للصَّمت عذراً

أو لطول الأناة من تبرير

★

غرَّك المُلك أيها المَلك الغرُّ

ولم تدرِ ما وراء الغرور

وتعاليت أن يكابر علياءك

توجيه ناصح أو نذير

فتطلّع الى مصيرك واخلع

تاج عزّ لبست غير جدير

وتسمّع صيحات شعب هضيم

طالب ردّ حقّه المهدور

أيُّ رهطٍ من الأراذل ساومتَ

عليه وأيُّ لَفٍّ حقير ؟

قد تخيّرتهم فما اخترت إلاّ

كلّ دلاّل عرضه سمسير

باعك الشعب والبلاد رخيصاً

لتفي حقّ عِرضه المأجور

أيُّ ظلم أن توثق الشعب أسراً

ثمّ تنعى عليه ذلّ الأسير

أإذا زاد في ولائك حُبّاً

لم تزد غير قسوة ونفور

هَبْهُ شعباً مَيْت الأحاسيس والرُّوح

خلِيَّ الشُّعور والتَّفكير

هَبْهُ حتَّى دون السَّوائم في الُوعي

وصوَّره أبشع التصوير

أحرامٌ عليه ذرَّةُ عطفٍ

من فؤاد وقطرة من ضمير ؟

جاحد الله ليس أعظم كفراً

من جَحود حقَّ الشعوب كفور

★

دمت للعرب يا عراق عريناً

لأسودٍ وموئلاً لنسور

عركتك الأحداث لم تلق أمضى

همَّةً منك في المهمِّ الخطير

ما تقاعست عن كفاح دخيل

أو تخاذلت في دفاع مغير

تتلقّى عسف الطغاة بصبر

فتريهم بطش الحليم الصبور

أبداً في تحفُّز ووثاب

غير مستسلم ولا مدحور

هل تهيّبت يوم ثرت على البغي

ولا عَوْنَ غير ربٍّ قدير ؟

رعت كيد المستعمرين بجيش

خطَّ تاريخ عالم في سطور

نفرٌ لو عددتهم لتلاشى

كلُّ فخر لدى العديد الكثير

نفرٌ لو حسبتهم أهل (بدر)

لاّصطنعت الغلوَّ في التقدير

نفرٌ لو شهدتهم ساعة الزحف

لباركت روحهم من كبير

ولأدركت أيَّ نزر عتاد

هدَّ أرسى قواعداً من (ثبير)

يا لها ساعةً بليل تقضَّت

في صراع مع الطغاة مرير

يا لها ساعةً بفجر تجلَّت

عن رجاء مثل الصباح منير

يا لها ساعة مضت بالطواغيت

الى غير رجعةٍ ونشور



حيِّي بما يحلو لديكِ وسلِّمي
بالعين إن أحببتِ أو بالمبسمِ

حَسْبُ التحيَّة لحظها إن سلَّمت
وشفاهها إن أومأت لمسلِّم

أعيا بصمتك ناظراك فأفصحا
عمَّا بقلبك من جوىً متضرِّم

وتبلَّجت شفتاك عنه فما عسى
تبغين من كتمان ما لم يُكْتَم ؟

لغةُ المشوقة في صميم عيونها

فتحدَّثي بلسانها وتكلَّمي

وجوابُ حائرة الجواب شفاهها

يفصحن عن متعثِّر متلعثم

سيَّرت لي من ناظريك رسالة

ما كان أحوج مثلها لمترجم

تطغى عليَّ رموزها فتثيرني

وأُجَنُّ بالحرف الذي لم يُعْجَم

وأحقُّ بالفَهم الصحيح رسالة

خفيت معانيها على المتفهِّم

حسب التحايا والتناجي بيننا

قُبَلٌ تَطايرُ كالفَراش الحوَّم

تنبثُّ ما بين الُخدود فتنتشي

وتحوم من حول الشفاه فترتمي

يرتجُّ في عيني وعينك ظلُّها

وتطير من فمك الُجميل الى فمي

يتضوَّعُ المبلول من أنفاسها

عطراً كطيب شذاه لم أتنسَّم

يا نكهةَ القُبَلِ الَّتي أستافها

من مُطبق حيناً ومن متبسِّم

أيُّ البراعم أينعت وتفتَّحت

ورجعن أكماماً كهذا البرعم ؟

لو أنَّ أزهار الربيع لمحنه

لرقصن من طربٍ لأجمل موسم

ما رفَّ لي بتحيَّة إلَّا هفا

قلبي وبادلتِ التَّحايا أعظمي

أو هشَّ لي عن بسمةٍ إلَّا سرت

وكأنَّ نفحَ المسك يسري في دمي

*

حُيِّيتِ أجملَ من لثمتُ وبادلَتْ

شفتي رحيق مُقَبَّل لم يُلْثَم

لو عشت في أكناف ظلّك ساعةً

ولفظت روحي بعدها لم أُظْلَم

كم مقلةٍ راوغتِها فوصلتني

وشغلتِ من دَنِفٍ بقربكِ مغرم ؟

بيني وبينك ألفُ طرفٍ عالق

بكِ لحظه وفؤاد ألف متيّم

ما لحتِ لي إلّا تحفّزَ موكبٌ

من واجدينَ وموكب من هُيَّم

يترسّمون خُطَى اللحاظ لعلّهم

يحظون منكِ بصورةٍ لم تُرْسَم

تغشاك أعينهم وأنت وضيئةٌ

يا للْهَلال يُضيء بين الأنجم

كم راودوك فراودتهم حسرةٌ

لم تُبقِ فيهم جانحاً لم يُكْلَم

وترصّدوك فلم تقع نظراتهم

إلّا على إيماءةٍ لم تُفْهَم

لو حِيلَ بين عيوننا وشفاهنا

لوَّحْتِ لي بالزند أو بالمعصم

جانفتِ(١) كلَّ فمٍ لريقك ظامىء

ونزلتِ عند الذائق المتطعِّم

دَجَتِ الحياة بناظري فجلوتِها

أملاً كورد شبابكِ المتفغِّم

وأشعتِ في أرجاء نفسي لذَّةً

لولا رواعي الشَّيب لم أتحشَّم

ويحَ الشَّباب أما يزال مُلازمي

ونجيَّ روحي إن صبوت وملهمي ؟

لا مُتَّ يا روح الشَّباب فميِّتٌ

من عاش بعدك خالياً لم يغرم

(١) جانف : جافى وانفصل عن بغض .

آمال

ماذا أردُّ على اكتئابكْ ... إن كان ما بي فوق ما بِكْ ؟

اللهُ يشهد ما جزعت ... لغربةٍ مثل اغترابك

حَسْبي من العبرات ما ... أهرقتها لك في غيابك

يا ساعةً أمضيتها ... بين التياعي واضطرابك

لم أدرِ ما أبكي بها ... أعلى مصابي أم مصابك

أتراك هالَتْك النّوى ... فكشفت عن هول ارتعابك ؟

عبثاً أحاول أن أعيد ... إليك شيئاً من صوابك

كيف التفتُّ بَسَمتِ لي ... عن هشٍّ وخز من عتابك

حتّى لَخلْتُ الدّمع في ... عينيك لوناً من عقابك

(آمال) هل أنا لو علمت سوى المتيَّم من صحابك ؟
وأعيذ قلبي أن يكابر في النزول على طلابك
أإذا بكيت بغير دمع كنت مدعاة ارتيابك ؟
ولمَ الدُّموع ولوعتي أضعاف دمعك وانتحابك ؟
يا ما وقفت مولَّهاً طول النهار أمام بابك
عَلِّي أغازل إن خطرتِ رفيف شعرك أو ثيابك
أعيا فأترع بالهوى كأسي وأشرب من حبابك
ولكَمْ أخذت عليك بُخْلك حين أطمع في رضابك
وأنا الذي لو شئتِ عاقرتُ المنون على حسابك
وجعلت من عيني طعامك والمفضَّل من شرابك
ولَطالما عرَّيْتُ نافذتي لتنشق من مَلابك (١)
ولمحتُ مَقْدَمكِ الأغرَّ وكنتُ في جمر ارتقابك
أرنو إليكِ وأنتِ في طول انشغالك وانكبابك
(آمال) لا جاد الزمان بصحبةٍ بعد اصطحابك
مثَّلتِ لي طهر العذارى في شذاكِ وفي إهابك (٢)

---

(١) الملاب : الطيب .
(٢) الاهاب : هو الجلد .

ما كان أسعدني بقربك أجتـــدي عطف اقترابك
كم مجلس عطَّرتِ ، روَّعهُ المفاجيءُ من ذهابك
إن كان من أمل يردُّ له الســـرور ففي إيابك
(آمـال) يا حُلُمي ، ولم أكذب عليك ولم أحابك
ما كان غير دعاكِ لي بالصَّبر خفَّف من عذابك
قبَّلت صوتك في دعـاكِ وحلـو ثغركِ في خطابك
وشممت مسكيَّ الهوى في كلِّ حرفٍ من كتابك
ما همَّـــني عمري إذا ولَّى وكان فدى شبابك
فضَّي دمـــوع رســـالتي وتبسَّـــمي لي في جوابك

من أعلى الجزائر

بمناسبة الثورة الجزائرية
حين دخلت عامها السابع

إلامَ تراوغين وتخدعينا ... وأين الصِّدق فيما تدَّعينا ؟
مددتِ يد الوئام فحامَ شكٌّ ... فكيف به وقد محقَ اليقينا ؟
أعندك أنَّ مَنْ فاوضت قومٌ ... إذا ماطلتِهم يستسلمونا ؟
وأنهم الضعاف متى توالت ... متاعبهم عنوا لكِ صاغرينا ؟
وأين الضعف إلَّا في أناسٍ ... يوالون الوعود ويخلفونا
وأين العار إلَّا في رجال ... لكلِّ فضيلة يتنكرونا
وأين الخزي إلَّا في طغاةٍ ... يعانون الفناء ويشمخونا

★

طريقُ الحرب وعرٌ يا (فرنسا) وكم أنضى جهود السالكينا

قطعت به السّنين السّبْع هُوجاً (١) وكم سبع هناك ستقطعينا

وفلّت عزمك النكبات وهناً وما أوهنتِ عزم الثائرينا

أبيْتِ لهم سوى التّسليم حَلّاً وعزّ اليومُ يومَ يُسْلمونا

فما ثاروا ليرتدّوا عبيداً ولا نَفَروا ليمضوا خاضعينا

ولا شهروا سلاحَهُمُ ليجثوا أمامك ركّعاً يتضرّعونا

ولا خاضوا المنون ليستكينوا ولا بذلوا الدماء ويذلونا

ولا عافوا منازلهم ليبقوا عُراةً في الفلاة مشردينا

ولا جاعوا ولا ظمئوا ليدحوا بطونَ علوجك المستوطنينا

ولا وهبوا حياتَهُمُ ليشروا بها الْطافَ عفوك شاكرينا

أحيلي أرضهم طوفان نارٍ فهل تجِدينهم يتهيّبونا ؟

وهل تجدين أنضاهم كفاحاً يحدّثُ نفسه أن يستكينا ؟

قضوها في الجهاد سنينَ سبعاً فما ملّوا ولا كلّوا متونا

ولو أبليت ما أبلوا لدانت لهيبتك الخلائق أجمعينا

★

(١) الهوج : جمع هوجاء وهي العاتية .

جهلنا شِرْعَةَ المستعمرينا فيا أُمَّ الشَّرائع خبِّرينا

أبَيْتِ على (الجزائر) كلَّ حقٍ يجاوزُ حقَّها في التَّابعينا

وعزَّ عليك أن تحظى بحكمٍ يقيها شِرَّةَ المتحكِّمينا

أحقُّ السَّادةِ الدُّخلاء حقٌّ ودون الحقِّ حقُّ الآخرينا ؟

تدارستِ الحلول لها تباعاً وما أدهى حلول الماكرينا

فما استهواكِ كالتَّقْسيم حَلٌّ يُعَدُّ مكانها في اللاجئينا

ولا كمكيدة الصحراء ختلٌ يسير على هداه الغاصبونا

ألا خسئتْ حلولك من حلول وخاب رجاكِ فيما تأملينا

متى كنتِ الوصيَّ على البرايا تبيعين الشعوب وتشترينا ؟

وهل رأت (الجزائر) فيك إلَّا فلول عصابةٍ يتآمرونا ؟

هبيها آوتِ الغُرَباء يوماً فهل فقدت حقوق المالكينا ؟

وهل لبنيك بالصحراء عهدٌ وفي أيِّ المهالك يصحرونا ؟

فما خُلقَ الجبان أخا فيافٍ ولا عرف الوهاد أو الحزونا

ولا سكن الصَّحارى غير ليثٍ تأجَّم(٢) حرَّ رملتها عرينا

(٢) تاجم : دخل الأجمة وهي مأوى الاسد .

شهدنا بأس جندك في الصَّحارى يجوبون الفلاة مدجَّجينا
فلم نشهد هناك سوى جراء (٣) تصايحُ أو أرانب يمْلعونا (٤)
إذا سمعوا بداجيةٍ صفيراً أقاموا الليل ما يتنفَّسونا
وإن لمحوا على بعْدٍ خيالاً فشكل الموت ما يتخيَّلونا
سلي صيد (الجزائر) كم أطاحوا على فلواتها منهم هجينا
سلي (وهران) كم تركت قتيلاً يعانق جرح صاحبه طعينا
سلي (أوراس) كم قطعت رؤوساً وطأن هضابها وفرت (٥) بطونا
فما تبغين من إخضاع شعبٍ تسامى عزَّةً لك أن يدينا ؟
حشدتِ له جحافل من رعاع وضعف حشودهم من مجرمينا
فهل جازوا لمعقله سياجاً وكانوا في اللقاء موفَّقينا ؟
وأين من العُقاب بُغاث (٦) طير تعافُ الوكن إن سمعت طنينا

★

دعي لغةَ الحديد وحاججينا لعلَّك بالوقائع تدمغينا

---

(٣) الجراء : جمع جرو وهو ولد الكلب .
(٤) يملعون : يسرعون .
(٥) فرت : شقت .
(٦) البغاث : طائر صغير الحجم بطيء الطيران .

خلا لك في (الجزائر) كلُّ شبرٍ — وصرَّفتِ الأمور بها سنينا

وبدَّلْتِ الوجود بها فناءً — فهل بدَّلْتِها لغةً ودينا ؟

وعايشها بنوك وربَّ عيش — يتوق لمثله المُتنعِّمونا

فهل قطعوا الأواصر أو تناسوا — مع الأيام أُمَّهُمُ الحنونا ؟

فما لك كلَّما سألتك عتقاً — أَلَحْت لها بسفيك ترعدينا ؟

أراعك أن ترود سواك مرعىً — فتصبح لقمة للسائغينا ؟

كفى بك في خداع الناس إفكاً — وحسبك باطلاً ما تزعمينا

أحقّاً أنت للراجين كهفٌ — يلوذ بك الضعاف ويحتمونا ؟

وأين حماة أرضك يا (فرنسا) — غداةَ تعرَّضَتْ للطَّامعينا ؟

وأين عتيد جيشكِ يوم هبَّت — جحافله بوجه المُعتدينا ؟

وكيف انهار لم يسعفه شهرٌ — يردُّ به الغزاة الفاتحينا ؟

وأين منيع خطِّك يوم حاقوا — (بماجينو)[7] فزادوكم جنونا ؟

تركتم كلَّ حاميةٍ وراءً — ورحتم بالهزيمة تحتمونا

وساقكمُ العدوُّ سياق بُهْمٍ[8] — فما حدتم شمالاً أو يمينا

---

(٧) ماجينو : هي سلسلة حصون اقامها الفرنسيون على حدودهم مع الالمان .

(٨) البهم : البقر والمعز والضان .

ركعتم كالعبيد له صَغاراً (٩) | يسومكمُ العذاب وتنظرونا
ولو لم يدفع الأغيار عنكم | لكنتم في عداد الهالكينا
فأين فخاركم إن قام فخرٌ | وأين مكانكم في العالمينا ؟
فما خضتم لمعركةٍ غماراً | وعدتم بالفخار متوّجينا
ولا فزتم على خصم بحرب | سوى في سوء ما تتخلّقونا
فيا لمليء ماضيكم فساداً | ويا لمزيد حاضركم شجونا
عجمنا (١٠) عودكم سلماً وحرباً | وشمنا (١١) طبعكم عَنَتاً (١٢) ولينا
فلم نلمح كروحكمُ انهزاماً | ولا كنفوسكم ذلاً وهُوْنا
ولا كقلوبكم فَرَقاً وجبناً | ولا كصدوركم مرضاً دفينا
ولا كردي‌ء معدنكم رديئاً | ولا كأفين (١٣) رأيكمُ أفينا

*

حياء أيها المتغطرسونا | ورفقاً بالشعوب الوادعينا

---

(٩) الصغار : الذل والمهانة .
(١٠) عجمنا : اختبرنا .
(١١) شمنا : نظرنا .
(١٢) العنت : الشدة .
(١٣) الافين : ضعيف الرأي .

نزفتم رزقهم سلباً ونهباً　　فهل أبقيتُمُ ما تسلبونا ؟

وسمتم عيشهم نَكداً وبؤساً　　وعينُ الله ترعى البائسينا

طغت أطماعكم حتَّى لكادت　　تُغير على عظام الميّتينا

أبيتم غير جنّتكم نعيماً　　وغير شعوبكم مترفّهينا

كأنَّ الكفر أن تجدوا سواكم　　بنعمة ربِّهم يتحدَّثونا

ألا تبّاً لنزعتكم وسحقاً　　لأفئدة القساة الظالمينا

وأتْعس بالخلائق أن يساسوا　　بعقل الساسة المتعفّنينا

يسود الأبيض المسودُّ قلباً　　وتَحْتقر الشعوب ملوَّنينا

وربَّ مسوَّدٍ ما ساد إلَّا　　بتضليل السَّواد الغافلينا

ومنتهز يعيش الدَّهر كَلّاً　　على عَرَق الجموع الكادحينا

دَعوا سلطانكم بالأمس واعنوا　　لحكم الدَّهر غير مكابرينا

فلم يَعُدِ الزَّمان لكم وليّاً　　ولم تعُدِ الشُّعوب لكم قطينا(١٤)

غلوتم في العتوِّ وأيُّ باغٍ　　أطاقت بغيه الدُّنيا قرونا

فما تألو البريّة من أذاكم　　تعجُّ كوارثاً ما ينتهينا

---

(١٤) القطين : الخدم والاتباع .

فما من فتنةٍ شبَّت بأرض — ولم يَكُ مكركم فيها كمينا

ولا سالت بمجزرة دماء — ولستم جندها المستترينا

دنت أيَّامكم ولربَّ يومٍ — سيطلبكم ولو في الهامدينا

فليس كمشهد التاريخ عرضٌ — يلوح الناس فيه مصوَّرينا

فخطُّوا فيه صفحتكم وسيروا — بلعنات الشعوب مودَّعينا

رد على رسالة

وَدَّعتُ عهدكِ وانتهيتُ ... وخرجتُ منه بما اكتفيتُ
وجهلت أنِّي قد هويت ... أو اصطحبت أو التقيت
ونسيت أنِّي في غرامكِ ... قد ضللت وقد غويت
وجعلت كلَّ مشاغلي ... تكفيرتي عمَّا جنيت
حَسْبي شقاءً أن جُننت ... على يديكِ وما وعيت
وبلغت أقصى ما بلغت ... من الضَّلال فما ارعويت
سنة وفي أعقابها ... عمرٌ كأسوأ ما قضيت
زيَّنْتِ لي حُلُم السعادة ... في جوارك فارتميت
ورضيت لي بالهمِّ يأكل ... في فؤادي فارتضيت
حتَّى إذا بلغ الضَّنى ... بي من عذابك أن ذويت
بدَّلْتِ من لهب الحشا ... لهب الحُشاشة فاصطليت
وجلوتِ بالبسمات لي ... صور الشقاء وما دريت

لو يُحْتَمى بالنّار من ريّا شفاهك لاحتميت
أثخنتِ قلبي بالجراح فما نبست ولا اشتكيت
وتركتِ عيني لا أرى أشباحها إلّا بكيت
عيني الّتي كانت تُريني منكِ أجمل من رأيت
كانت إذا غازلْتِها نشيت بسحرك وانتشيت
عيني الّتي أضرمتها ناراً بجذوتها اكتويت
وظللت أشرب من سعير دموعها حتّى ارتويت
عيني الّتي بسهامها أدميت مهجة من رميت
ولطالما هتكت بنظرتها السرائر فاهتديت
واليومَ أُمسك بالعصا حذر العثار إذا مشيت
وأسير لا أدري أصبحاً سرت أم ليلاً سريت
وغداً إذا انطفأ السّراج ولم يَعُدْ في العين زيت
وزويتُ عن نور الحياة كفيف طرفي وانزويت
ستهبُّ تعصف بالفؤاد من العواطف ما طويت
ويُنير دربي في الظّلام قصيدة ويضيء بيت
ويعود ينبض بالحياة محنّط في الصدر ميت

مع الرّاح

ألا ما كان أعظمَني شقاءا

وأكثَرَني بلا سكر عناءا

وأنزلني على أحكام دهر

قضى أن لا أردَّ له قضاءا

وهل كالرّاح من تلقاه عوناً

على البلوى ودرعاً واتّقاءا ؟

وهل كالرّاح من محمود عقبى

لمن ساءت عواقبه وساءا ؟

لئن عانيتُ صرعتها طويلاً

كفاني أن وجدت بها العزاءا

وكم في زحمة الآلام صاحٍ

رأى في سكرة الموت ٱنتشاءا

نظرت فلم أجد كالرّاح طبّاً

لمن فقد الطّبابة والدّواءا

ولا كجوارها للنّفْس أنساً

إذا برمت من الدنيا ٱستياءا

ولا كدبيبها في الجسم لطفاً

وقد خدرت مفاصله ٱرتخاءا

ولا كأريجها في الطّيّب نفحاً

إذا راح النّسيم به وجاءا

ولا كرضيعها نَهَماً وجوعاً

إذا أتخمته زاد ٱشتهاءا

ولا كطريحها إن نام دهراً

شكا من طول صحوته ٱلعياءا

وهل كالصّحو من كابوس همّ

لعانٍ لاذ بالسكر ٱحتماءا ؟

جزاها الله كم غمَّاء حزنٍ

جلت عنِّي وكم بعثت رجاءا

وكم ناديتها لعصيب يوم

فما برمت ولا ردَّت نداءا

عكفت الدهرَ أجزيها عناقاً

وتقبيلاً وشمّاً واحتساءا

أواصلها كما يسعى تقيٌّ

لمسجده صباحاً أو مساءا

ولو أدَّى كتأديتي صلاةً

بموعدها لما صلَّى قضاءا

وهل سيَّان من أدَّى فأوفى

ومن أدَّى فأوجزها أداءا

وهل سيَّان من يجثو سروراً

بجانبها ومن يجثو بكاءا

وهل سيَّان منتظر عقاباً

يواجهه ومنتظر جزاءا

مززت(١) لعابها فسرى بجسمي

يروِّي فيــه أحشايَ الظِّماءا

وجاوزهنَّ فامتـــلأت عـروقي

وكاد البعض ينفجرُ امتـــلاءا

كأنِّي ما هممت به لِيُبْقي

بجسمي قيـــد أنملة خلاءا

فلو عصر السُّقاة دمي ولحمي

تعذَّر أن يروا في الخمر ماءا

عجبت وما عجبتُ لغير صدري

أخمراً ما تنفَّس أم هـواءا

*

فـدىً للراح أغلى ما بنفسي

وهل في الراح ما يغلو فـداءا

فلولا الراح ما عالجت سقماً

ولا فرَّجت كرباً أو بلاءا

---

(١) مززت : مصصت .

ولا آنستُ في الأيَّام يوماً

عرفت به السَّعادة والهناءا

ولا آثرت غير الحزن مرأىً

أزيد به على نفسي انطواءا

ولا بدَّلْتُ من جزعي صموداً

وهزءً بالمكاره وازدراءا

ولا حبَّرت في الأشعار سطراً

كفلت به لجدَّته البقاءا

ولا حقَّقت في الغايات مسعىً

جليلاً كان ذلك أم غثاءا (٢)

ولا قارفت (٣) معصيةً وإثماً

ولم أهرَعْ إلى اللهِ التجاءا

ولا رقرقتُ في الخَلَوات دمعاً

بعثت به إلى ربِّي دعاءا

(٢) الغثاء : الزبد أو البالي من الورق المصاحب للزبد .
(٣) قارفت : ارتكبت .

لَكُنْتُ نَبَذْتُها لو أنَّ أُخرى

سواها بدَّلت كدري صفاءا

لكنت رميتها بالكفر لو لم

أجد فيها لأسقامي شفاءا

لكنت وصمتها بالرِّجس حقّاً

ولم أجرؤ على اللهِ افتراءا

لكنت جعلت من عيني شراباً

ألذُّ به ومن كبدي غذاءا

لكنت رفعت بالدَّعوات كفِّي

أصلِّي للَّذي رفع السَّماءا

لكنت غضضت من طرفي حياءً

لكنت خشيت من ربِّي لقاءا

في مهرجان شبلي الملاط

القيت في المهرجان الكبير المقام في بيروت في نهاية عام ١٩٦١ بمناسبة مرور عامين على وفاة شاعر الارز الكبير المرحوم شبلي الملاط

حُلُمٌ كوشي رباك في أندائِهِ
وكنشرها الفوّاح في أشذائِهِ

حُلُمٌ تقادمت السُّنون ولم يزل
من شوقه في الأوج من غُلْوائه

حُلُمٌ أرادك في الخيال فما صحا
ورآك حتّى تاه في خيلائه

حُلُمٌ تقمّص ذكريات شبابه
وأتاك يرفل في قشيب ردائه

حُلُمٌ كأنَّ ظِلال كرمكَ حانُهُ

والتِّين والزَّيتون من ندمائه

★

يا صبَّ (لبنان) الوفيَّ بعهده

ونجيَّه في صبحه ومسائه

ما زلتَ تحلُمُ في حبيب خياله

حتَّى أفقت على رطيب ندائه

فحثثت أشوق مهجةٍ لبلوغه

وحملت أجمل قُبْلةٍ للقائه

وسريت مهتدياً بضوء (شهابه)

ونزلت محتمياً بظلِّ (لوائه)[1]

وتطرَّبَ القلب المشوق منادماً

أحلام صبوته وعهد هنائه

يا بلبل الأيك المفارقَ عُشَّه

ها قد رجعت الى ظليل فنائه

---

(١) شهابه ولوائه : تلميح الى اللواء فؤاد شهاب رئيس جمهورية لبنان يومئذ .

فاُصدَح كعهدك أمسِ في جنباته

واُمرح وناجِ هـواك في أفيـائـه

واُستذرِ فيه من الزَّمان وصرفه

متظـلّلاً بالأرز من أرزائـه

نازعتـه الشَّـوق القـديم وطالما

نازعتـه الخفَّـاق من أحشائه

فعرفتَ كيف تقيـم بين ضلوعه

وعرفتَ كيف تنام في سـودائـه

لبنان أَوْفَى من رعاك بعطفه

وحبـاك بالفيَّـاض من آلائه

آنسـتَ في السَّـراء صفو نعيمـه

ولمستَ في الغمَّـاء جمَّ عـزائـه

وطَعِمتَ لم تطعم كهانىء عيشـه

ولذيذ مـا أولاك من نعمائه

وشـربتَ لم تترك لربِّـك حجَّـةً

أن ينضبَ الفردوس من صهبائه

وعزفتَ ألحانَ الصِّبا عذريَّةً

يسلو بها العذريُّ عن عذرائه

ونطقتَ بالغرر الحسان فصيحةً

كلسانه عربيَّةً كدمائه

ونهلتَ صفوَ العلم من أعلامه

وقبست وحي الشِّعر من شعرائه

من أي ملهمه (وشاعر أرزه) (٢)

والصَّادح التيَّاه في أجوائه

من روح (أخطله) (٣) وسحر (أمينه) (٤)

ومن (الخليل) (٥) ومن سنى إيحائه

رُسُلٌ من الفصحى جلال كتابهم

أن تصبح الأرواح من قرَّائه

تخبو النجوم وذكرهم متألِّقٌ

يغشى سنى الدنيا سنى لألائه

---

(٢) شاعر الارز : هو المرحوم شبلي الملاط .

(٣) اخطله : الاخطل الصغير وهو الشاعر بشارة الخوري .

(٤) أمينه : الشاعر اللبناني أمين نخله .

(٥) الخليل : هو المرحوم خليل مطران شاعر القطرين .

ورثوا إمارات القريض وجاوزوا

ما أحرز الأسلاف من أمرائه

في مهرجان الأرض نجوى حبّهم

لفقيـــدهم في مهرجان سمائه

حَسْبُ القرائح همّةً أن تعتلي

لتساجل (الملّاط) في عليائه

عَلَمٌ إذا غشيَ المحافل منشداً

ترك الزّمان يطيل من إصغائه

غنّى بشاطي الرّافدين فرددتْ

شطآن وادي النيـــل عذب غنائه

ونحا (الشآم) فهللت (فيحاؤه) (٦)

للكوكب السّاري الى (شهبائه) (٧)

واجتاز يكسو (الأرز) ظلّ غمامه

وينوء بالثجّاج من أنوائه

(٦) فيحاؤه هي دمشق الفيحاء .

(٧) شهبائه : هي حلب الشهباء .

فسقى (فم الميزاب) [٨] من شؤبوبه [٩]

ما لا يعاض (بدجلة) عن مائه

لله نفحة خير لم يؤتها

إلا الحواريون من نظرائه

لله صفحة سؤدد ما خطها

إلا بطول جهاده وعنائه

لو نص في حرم السماء ضريحه

كان الطواف به أقل جزائه

*

لبنانُ يا بلدَ السماحة والندى

ورجاءُ كلِّ مخيَّب برجائه

قرَّ الشجيُّ وقد مسحتَ دموعه

وتنفس المهموم عن صُعَدائه

(٨) فم الميزاب : هي أعلى قمة في جبال لبنان . وفي البيت اشارة الى أعظم قصائد شبلي الملاط وعنوانها (فم الميزاب) وهي القصيدة التي بايع فيها الشاعر أمير الشعراء أحمد شوقي بامارة الشعر نيابة عن لبنان .

(٩) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

ومَن ِ الخليق بأن يعالج مدنفاً

غيرُ الَّذي بيديه سرُّ شفائه ؟

ما زاغ طرفي عنك في أحلامه

أو حاد روحي عنك في إسرائه

لو علَّلتني غير أرضك جنَّة

واسيتُ قلبي في طويل شقائه

أنزلتني ضافي حماك وليت لي

حظّاً فأبقى الدَّهْرَ من نزلائه

وأحاط بي أهلوك حتَّى لم أجد

بيناً أحلُّ ولستُ من أبنائه

كرمٌ ومَنْ يسديه إلاَّ ماجدٌ

ورثَ النَّدى العربيَّ عن آبائه

كرمٌ سينتظم (العراقَ) حديثُه

ويسير مسرى النَّدِّ في أرجائه

ويهزُّ أعطاف النَّخيل بشطِّه

وشمائل الحادين في بيدائه

ويديله (١٠) هزج الرُّعاة بريفه

والَّليل والسُّمار في زورائه (١١)

ويزيد من عبء الَّذي أنا حامل

لك من مشاعره وصفو إخائه

ما انفكَّ يُثقل كلَّ يوم كاهلي

بأمانة ويزيد من أعبائه

ولعلَّ صفحك عاذري إن لم أكن

أدَّيت ما حُمِّلْتُ حقَّ أدائه

أو علَّ يسعفني (أمينك) بالَّذي

هو أقدر الشعراء في إسدائه

لبنان حسبك نفحة من (حافظ

لجميل) (١٣) صنعك لاهج بثنائه

---

(١٠) يديله : يتداوله .
(١١) الزوراء : بغداد .
(١٢) امينك : هو الشاعر اللبناني أمين نخله .
(١٣) تلميح الى ناظم القصيدة .

بعد اللقاء

لا تجوري على رفيق صِباكِ
وأسأليه عمّا بدا فجفاكِ
واعذريه إذا تلمّس عذراً
فطوى عهد حبّه وسلاك
واطرحي عنك ذكريات سنين
شهدت طول وجده وأساك
أيُّ وعد يغريه بعد لقاء
ودّ لو حال جمرة من نواك ؟
ألقاءٌ من بعد عشرين عاماً
ومتى كنتُ حالماً بلقاك ؟

ألقاءٌ ولا أظنُّ بشيراً

قد أتاني بمثله وأتاك

ألقاءٌ وليس غيرَ عناق

وسلام وليس غيرَ اشتباك

ليتَ (بيروتَ) راقصتني سروراً

وشفاهي تزقُّها شفتاك

وحرامٌ عليَّ أن لا أُدَمّي

بالتحيَّات وجنتيك وفاك

هِزَّةُ الشَّوق بعد طول فراق

هي فوق الخيال والأدراك

ثمَّ سِرنا وفي ذراعك كفِّي

وجلسنا ومتعتي كفَّاك

وذكرنا أحلامنا فصبونا

وعراني من هِزَّةٍ ما عراك

وافترقنا عن موعدٍ فالتقينا

ومتى فارقَتْ مناي مناك ؟

فتعجّبْتُ كيف ضاع وقاري

حين قابلتني وزال حياك

ومضينا فما شكوت عياءً

من مسير ولا ونت قدماك

واحتوانا جنح الدُّجى فاختلينا

خلوةً لا تتاح للنسّاك

وسمرنا وليس غير شجوني

من حديث وليس غير جواك

واعتنقنا وقد تبلّل خدّي

يا لَخَدٍّ منديله خدّاك

وسجا اللّيل غير نجوى عشيقٍ

لعشيق وبثّ شاكٍ لشاك

فتمنّيتِ لو يطول سهادي

وتمنّيتُ لو يحين كراك

وشربنا كأس اللّقاء فكانت

شفتي تارةً وأخرى لماك

وتوسَّلْتِ لو صحوتُ قليلاً

كيف أصحو وفي فمي نهداك

واستحرَّتْ أشواقنا فاشرأبَّتْ

لكِ عيني وماطلت عيناك

فالتحمنا حتَّى تضعضع جنبي

واشتبكنا حتَّى تداعت قواك

وارتمينا وتحت رأسك زندي

واحتضنَّا ومحزمي زنداك

ثمَّ لمَّا زال الكرى وصحونا

هالني كيف لم يُعمَّر هواك

إيهِ يا عرس عاشق قد تلاشى

بعد عشرين حجَّةً من عراك

ما تهنَّيتَ غير عشر ليالٍ

ضاحكات والأخريات بواك

حسبكِ الله يا (وفاءُ) وحسبي

ووقاني شرَّ الوفا ووقاك

أ (وفاءٌ) ولا وفاءٌ بعهدٍ

أيُّ غدرٍ أراد من سمّاك ؟

ألهذا اللّقاء واصلتُ حبّي

وطويت السنين في ذكراك ؟

ليتَ لا كان حبُّنا في صبانا

وكفاني جهل الصِّبا وكفاك

ليت لا كان بعده من فراق

زادني طول حسرةٍ وشجاك

ليت لا كان بعده من تلاقٍ

ضاع حبّي به ومات رجاك

أ إذا جدَّ عاشقٌ لك غيري

كان حظّي مع الصُّدود ازدراك

ولبئست لقاءة جمعتني

بغريم ما ضامني لولاك

أيُّ سهم سدّدتماه لصدري

حين شدّت على يديه يداك ؟

ولمَ الهمْسُ والجــوانح تصغي

ولمَ الغمْــزُ والفؤاد يراك ؟

ولمَ الكيد ما وجدتِ مجالاً

لاحتضانٍ أو فرصةً لاحتكاك ؟

ولمَ السُّخط إنْ جعلتكِ قربي

وســهونا فمسَّ ردني رداك ؟

ولمَ الذُّعر إن نأى بكِ عنّي

ورآنــي وراءه ووراك ؟

وهل الحبُّ أن أموت وأحيا

بين إشــفاقه وبين رضاك ؟

وهل الحبُّ أن أجامل خصمي

وأُهنّيــه في ســبيل هناك ؟

وعجيبٌ أن تُمْعني في غــدراً

وتظــلّي تمضــين في إغراك

أيُّ طيرٍ نجا من الأسـر حيّاً

وتمنّى الوقوع في الأشراك ؟

وَلئنْ كنتُ في جـواركِ أعمى

فسأبكي عـلى طويـل عمـاك

وسأبكي ولا أُبلّل جفنــاً

حـذَرَ الـدّمع أن يبـلَّ حشـاك

مـا تعمَّدْتُ أن أغيظـك لو لا

أنَّ ســيفاً أشــهرته أدمـاك

وحــــرامٌ أن لا أقابـل صـدّاً

بصـــدودٍ ولا أراك كـذاك

لستُ (قيساً) ولستِ (ليلى) لأشقى

بجنـــوني وتنطـــوي بضنـاك

ما تـذوقتُ لـذّةَ العُمْــــر إلاَّ

حين شـاء القضـاء أن أنسـاك

فاشكري الله أن شـهدتِ عقوقي

ولهُ الحمــــد أن خـبرتُ وفاك



ألقيت في مهرجان الشعر
المقام في بغداد عام ١٩٦٥

أَضْيافَ (بغداد) هذا وجه بغدادِ
صحائفٌ من بطولاتٍ وأمجاد

ما حبَّرَ الدَّهر تاريخاً كأسطرها
في لوح خُلْدٍ ولا في سِفْرِ آباد

في كلِّ صدرِ كتاب من روائعها
يُتْلَى وفي كلِّ ثغرٍ حلو إنشاد

هاتوا الصَّحائف من عزٍّ ومن حَسَبٍ
إن كنَّ أندادها أو شبه أنداد

إرثُ العباقرة الأفذاذ إنْ وقفوا

بين الجبابر كانوا شمَّ أطواد

مآثرُ الخلفاء الغُرِّ ما تركوا

لسادة الأرض رأساً غير منئاد

السَّالكين طريقَ النَّصر ما وهنوا

من طول مرحلةٍ أو بُعْدِ آماد

الرَّافعين لواء الحقِّ ما فترت

سيوفهم بين إشهار وإغماد

ما شانهم ويمين الله تسندهم

أن يشركوا السَّيف في دعم وإسناد

تبارت البيض والأقلام فانطلقت

لم يثنها طول آفاقٍ وأبعاد

إذا نبا السَّيف في زيغ يقوِّمه

سَلَّ اليراع عليه سيف جلَّاد

وحكمةُ السَّيف في زجرٍ وفي رهَبٍ

كحكمة الله في وعدٍ وإيعاد

تبقى العقائد تستوحي شجاعتها

من غيل أفئدة لا غيل آساد

والحربُ ساحة آراءٍ وفلسفةٍ

طلائع الحقِّ فيها خير أجناد

وما الحضارةُ إلّا كدُّ أدمغةٍ

وقدرةُ العقل في خَلْق وإيجاد

وثروةُ الفكر طاقاتٌ نفجّرها

في غير مصنع بارودٍ وفولاد

لم تحتضن غير أقلام وألسنة

مشهّرات لتهذيب وإرشاد

ما أعجزَ السّيف حسن الرأي يعوزه

وما أضلَّ السّرى من غيرِ ما هاد

رَبُّ البطولة خلف الطرس مقعده

لا فوق بارجةٍ أو فوق طرّاد

لولا المُخَلَّدُ من شعر ومن أدب

أخنى الزّمان على ذكر (ابن شدّاد)

حَسْبُ ٱليراعة أن تُسقى إذا ظمئت
من جوف محبرة لا جوف أكباد

وما ٱلحسام بلا دينٍ ولا خُلُق
إلّا النّهاية في كفر وإلحاد

مَنْ زَيَّفَ ٱلحقَّ إلّا غشّ أنظمةٍ
واْستعبد النّاس إلّا ظلم أفراد ؟

ومَن قضى أن يكون البعض آلهة
وأن يظلّ سواهم محض عبّاد ؟

لا بوركَتْ دولةٌ قامت شرائعها
على مباديء خدّام وأسياد

هاتوا ٱلعبيد أُقَطِّعْ كفّهم قُبَلاً
ولا أصافحُ كفّ الظّالم ٱلعادي

أ هِيَ الكرامة في جاهٍ وفي نسبٍ
وليس في عملٍ مضنٍ واجهاد ؟

ولّى ٱلّذي كان إنْ غنّى بمحتده
خلّى ٱلورى بين عشّاقٍ وحسّاد

فما رفيقك في جهدٍ وفي عمل

إلّا شريكك في بؤس وإسعاد

أيحسبُ الجشعُ المنهوم أنَّ له

ديْناً بذمّة هذا الجائع الصّادي ؟

وأن يعيش أخو اللّذات في رغدٍ

والكادحون بلا مأوىً ولا زاد

بئسَ الشِّعار شعار العدل يرفعه

باغٍ يعيش على مجهود أنكاد

*

أضيافَ بغداد أوجزتم زيارتكم

عِدُوا بطول زيارات وترداد

طوفوا ببغداد لا يُلْهب مشاعركم

ما شاقكم من حديث الرائح الغادي

واستعرضوا وجه ماضيها وحاضرها

بما شهدتم وكونوا خير أشهاد

بغداد هذي أم الدّنيا وما شهدت

مواكبُ الفتح من عرس وأعياد ؟

بغداد هذي أم الفردوس ناشرةً

أعلامها بين مفترٍّ وميّاد ؟

بغداد هذي ومَنْ أَوْلى بتكرمة

منها طوال المدى أو عيد ميلاد ؟

وتلك (دجلة) أم عذراء حالمة

تضاحك النّجم عن فضّيّ أبراد ؟

جرّت على صفحة الوادي مطارفها

فسحّ الخير يسقي ساكن الوادي

كأنّها وجناحُ النّخْل يحضنها

فجرٌ تلألأ في أكناف أوراد

ساحت على القفر فاخضرّت جوانبه

فالنّاس ما بين روّادٍ ووراّد

مَنْ فيّض السّحر (للمنصور) فانتفضت

كفّاهُ عن كوكب في الأرض وقّاد ؟

وَمَنْ أحال كثيب الرَّمل زنبقةً

تناظر الشَّمس في حسن وآراد ؟

تلك الأميرة لولاها لما هتفت

في البيد قافلة أو ردَّدَ الحادي

تسنَّمت مفرق الشطَّين وانتصبت

برجاً لسارين أو ركناً لقصَّاد

وغصَّ بالنُّزْلِ واديها فما برمت

بمستظلٍّ ولا ضاقت بمرتاد

سليلةُ المجد لم يثلم كرامتها

ما ضامها من سلاطين وقوَّاد

طالوا عليها سنا عزٍّ فكان لهم

عين القضاء وكفَّاهُ بمرصاد

وربَّ عشَّاق أمجادٍ مزوَّرة

حلَّ الفناءُ بهم من غير ميعاد

تقلَّدوا شارةَ الأحرار واحتجزوا

لسيفهم كلَّ حرٍّ غير منقاد

وأيُّ حريَّةٍ تلك الَّتي نشأت

في قعر سجن وعاشت بين أصفاد ؟

حريَّة المستبدِّ الفظِّ أيسرها

إعداد معتقل أو نصب أعواد

لا نام حارس بغداد ولا عدمت

أغيار أُسْدٍ عن الأوطان ذوَّاد

تداولتها يد الأشرار فاعتصمت

بفتيةٍ سُبَّق في الغوث أنجاد

من حاملين ذمام العهد في يدهم

ومن مضحِّين بالأرواح أجواد

وللكرام حميَّات إذا احتدمت

فليس تسكن في كبتٍ وإخماد

★

نشء العراق وحيَّا الله ناشئة

توارثوا العزَّ عن أحرار أجداد

جالَ المفرِّق فيكم يبتغي قَنَصاً

فحاذروا أن تكونوا طُعْمَ صيّاد

لم يخلُ تأريخكم من بثّ تفرقةٍ

قام الخصوم بها أو زرع إفساد

فمحّصوا وجه أعداكم فقد نسخوا

روح الأبالس في سيماء زهّاد

حَسبُ الأنانيّة النكراء ما جلبت

على العراق وما جرّت على الضّاد

فبادروا واجمعوا أشتات صفِّكُمُ

فما خُلقتم لأضغانٍ وأحقاد

أنتم بنونا ونبع من حُشاشتنا

وما نبدّل أولاداً بأولاد

ما عاق أعداءكم والخلف ديدنكم

أن يضربوا الكلّ آحاداً بآحاد

وكيف يسفر عن نصر جهادكُمُ

إن فاتكم حسن تنظيم وإعداد

صرح الحضارة ما شيدَتْ دعائمه

إلّا على فتيةٍ كالجنِّ مرّاد

والشّعب بالعمل الجبّار قدرته

لا في مدى رقعةٍ أو كثر تعداد

ألَمْ تعظكم (فلسطين) ونكبتها

بسائرين الى الأعداء أضداد ؟

ألَمْ تثركم ضحاياكم وما نثرت

في ساحة المجد من هامٍ وأجياد

ملء القفار جراحات مجلجلة

أصداؤها بين أغوار وأنجاد

تلك الجراح وما من بركةٍ نشفت

ولم تجد من دماها خير إمداد

تلك الجراح ومَنْ يطفي حفيظتها

من بعد ما احتدمت من طول إيقاد ؟

*

نشء العراق ألا فانضوا عزائمكم
فالعصر عصر وغىً لا عصر إخلاد

هيهات ينصفكم في ضعفكم أحدٌ
من حاضر في فجاج الأرض أو باد

فعبّئوا من قواكم كلَّ طاقتها
فحسبنا طول إرعادٍ وإزباد

وحقّقوا الوحدةَ الكبرى لأُمّتكم
فما الحدود بأسوار وأسداد

حَسبُ التعاطف بالأفكار رابطة
فكيف لو كان في روح وأجساد

أيُّ القباب سَمَتْ من غير أعمدةٍ
وأيهنّ استوت من غير أوتاد ؟

تعيا الأكفُّ بأدنى ما تحمّلها
لولا تظافر أكتاف وأعضاد

نشء العراق ألا لا فاتكم أبداً
حرص الغيور وبذل المخلص الفادي

ولا هدأتم ولا نامت عيـونكُم

عن الطُّغـاة ولا ضـاقت بتســهاد

عين العـروبة ما زالت تلاحظـكم

هيَّا أعيـدوا لهـا أمجـاد بغــداد

لبنان

ذَرِ الدَّمْعَ المُلِحَّ يزبد وَكْفا

فما لكَ غير لبنانٍ وتشفى

صبرتَ ولاتَ مصطبر لنضو

أطلَّ على منيَّته وأشفى

بلوت الحادبين عليكَ طرّاً

فلم تظفر بأندى منه عطفا

أظلَّكَ في الشَّباب فكان وَكْناً

وحاطك في المشيب فكان كهفا

ومَنْ لكَ في النَّوازل إنْ ألَمَّتْ

بأرعى ذمَّةً منه وأوفى

كفاك به لدى الأزمات درعاً

وإن نابتك نائبة فسيفا

★

أغثني وارعَ يا (لبنان) قلباً

إذا خطرت له ذكراك رفَّا

وبثَّ جوانحي نفثات شعر

يحيل عواطفي لهباً مقفَّى

وأين من الشُّعور المحض شعرٌ

يحبِّره لكَ الشُّعراء زُلْفى

صدقتُكَ فيه عاطفتي فأفضى

بأصدق ما يخالجني وأصفى

وصغت لنظمه حبَّات قلبي

فلم أترك به غشّاً وزيفا

ولو فصَّلت فيه سواد عيني

لما وَفَّى جميلكَ إذ يوفَّى

★

حديث الحبّ يا (لبنان) مرٌّ

لمن نضبتْ صبابته فجفّا

وهل يحيي الحديث سوى ادّكار

لأيّام تزيد الجرح نزفا ؟

خلوتُ أعدُّ من صفحات عمري

سِني لذّاتها حرفاً فحرفا

فلم أذكر من الخمسين منها

سوى خمس تقضّت فيك طيفا

ولو كُتِبت بأرضك لي حياةٌ

رضيتُ بنصفها وتركت نصفا

فما دنيايَ بعدك لي بعمر

ولو عُمّرت بعد الألف ألفا

تنسّكَ في حنيف هواكَ قلبي

فعاف لذائذ الدُّنيا وعفّا

أراني حيث سرتُ أرى ضباباً

سدلت به على عينَيَّ سِجْفا

وأحيا منكَ في وطني غريباً

كأنّي قد نزلتُ عليه ضيفا

وهل أبقيتَ لي في الأرض داراً

أحنُّ لها وفي الخلّان إلفا ؟

كفى بي أن يعود الودُّ كرهاً

وتصبح ندوة الأحباب منفى

ذكرتكَ والشّدائد فوق طوقي

فما استخذيتُ للأيّام ضعفا

ولا ندّدت بالأسقام تترى

وقد أبقينَ لي لِأراك طرفا

ولو قدّرن لي إطفاء عيني

لظلَّ هواك نوراً ليس يُطفا

حماني عنكَ في الأدواء داءٌ

أحاول حسمه فيزيد ضِعفا

ونازعني هواكَ فكان أقسى

عليَّ من الضّنى وأشدَّ عنفا

خبرتُ الدّهر إيعاداً ووعــداً

وطبعَ الدّهــر إنجازاً وخُلْفا

فلم أَرَ كاحتمال الوعــد رزءً

لموعــودٍ ولا كالمطـــل حتفا

تطاولَ في نواكَ فهاج وجــداً

وماطلَ في لقاكَ فزاد خســفا

وطال توجّعي لكَ واحتــوتني

مصائب لا أُطيق لهنّ وصفا

كأنّي والمنيّــةُ نُصْبَ عيــني

أجاري الـدّهـر أخلاقاً وعرفا

فأخلعُ من ضروب الحزن لوناً

لألبس من شتات الداء صنفا

وأذعنُ للخطـــوب وقد توالت

لعـــلّ وراءها فـرجاً ولطفا

★

أَرِحْ مُضناك يا (لبنان) وارحم

حليفَ صبابةٍ بهـواكَ شفّا

ثَوَى في سجن عزلتـه غريباً

فما يسطيع غير الشّجْو عزفا

ولو عاد الزّمان به طليقاً

لحوّمَ في رياضكَ واستدفّا (١)

وعانقَ أرزها قُبَلاً وشمّاً

وناطفَ كرمها ضمّاً ورشفا

وشاد له من الزّيتون بيتاً

ومن أهدابه عَمَداً وسقفا

★

سقاها الله جنّاتِ ظلالاً

ترفُّ بشاشةً وتنثُّ عَرفا

---

(١) استدف الطائر : مر بالقرب من الارض .

تُناهضها الرُّبى فتتيهُ زهواً

ويرهقها الجنى فتميلُ عِطْفا

ويغمرها النَّدى فتشقُّ عنها

كثيف ضبابه وتعود تخفى

تجرُّ على طويل السَّفْح ردناً

وتلبس من نقاب الغيم شِفَّا(٢)

إذا استذرى(٣) بها رضوان أيكٍ

تهزَّأً بالجنائن واستخفَّا

وداعبَ من نسائمها أريجاً

توسَّد طيب نفحته وأغفى

خمائلُ ما نَعَيْنَ على شتاءٍ

تقشُّفَه ، ولا عاتبن صيفا

ولا هَتَكَ الخريفُ لهنَّ ستراً

ولا مرَّ الرَّبيعُ بهنَّ خطفا

---

(٢) الشف : الثوب أو الستر الرقيق .
(٣) استذرى : استظل .

مُنَشَّرَةٌ عـلى الآكام شـقّ

وتلقاهـا عـلى الحافات صـفّا

مرفـرفـةٌ عـلى شـلّال ماءٍ

تناوله الصّفـا(٤) ذرّاً وندفا

كأنّ الله أطلقهـا خيـالاً

ليجعلهـا على الشـعراء وقْفا

نـزلتُ عـلى مشـارفهـا أُناجـي

أُوَيْقـات الشّـباب وقـد تعفّـى

وأحباباً أنسـتُ بهـم عكوفاً

على كاساتهم يحسـون صرفا

فمن صـادينَ يحتضـون زقّاً

ومن صابـين يعتنقـون خشفا

ومنتجعـين رمّـانـاً وكرماً

أَبـوا إلّا ثُـديّ التّـين قطفـا

---

(٤) الصفا : الاحجار الصلدة الضخمة .

ومُغتَرفين من سَلْسال نبعٍ

مَضَوا عنه وقد جمدوا أكفّاً

ومستوحين من (لبنانَ) شعراً

ومن أهليه آداباً وظَرْفا

رعاها الله أحلاماً تولّت

ولم تترك سوى الآهات خَلْفا

ألَمّت كالخيال بنا وجازت

وجزنا بعدها لم نَدرِ كيفا

ومَنْ عند الشّدائد من ملاذٍ

سوى (لبنان) إن أمعنَّ عسفا ؟

سلمتَ الدّهر يا (لبنان) طوداً

على الأطواد أشمخهنّ أنفا

كأسي

دومي دوامَ العمْر يا كأسي
يا كوثري العذب وفردوسي
لولاك غامَ الكون في ناظري
وعشت في داجٍ من اليأس
وظلَّ صدري جَدَثاً حالكاً
لم يرَ لولاك سنى الشَّمس
ما نابني همٌّ ولم تغمري
قلبي من الأنس بما يُنْسي
لو حال دهري كلّه مأتماً
كنتِ بكفّي شمعة العرس

يا لكِ من بيضاء حبَّبتِ لي
حتَّى بياض الشَّيب في رأسي

واصلتِني الخمسين لم تضجري
والغيد يضجرن من الخمس

لو صابرت (ليلى بني عامر)
صبرك ما طال شقا (قيس)

من ذا الَّذي مسَّتك أوصاله
ولم يزد مسّاً على مسَّ ؟ (١)

كأنَّ مَن لامست أنفاسه
يسكر بالشَّمِّ وباللَّمس

ما دُرتِ في رأسٍ ولم تجعلي
من خائر العزم أخا بأس

وتتركي الرعديد في لمحةٍ
أشجعَ من (عنترة العبسي)

(١) المس : هو الجنون .

تبّاً لعُمري إن مضت ساعةٌ

منه بلا راحٍ ولا أنس

لا تلك من يومي ولا من غدي

حقّ ولا المقبور من أمّسي

حَسْبي هياماً فيكِ أن أجتلي

مرآك ما أصبح أو أُمسي

وأزدري الدُّنيا وما خبّأتْ

لي في غدٍ من طالعٍ نَحْس

كم غُمّةٍ باللّهو فرّجتها

تستفزُ الموتى من الرمّسْ

وا عُظْمَ أوزاري إذا لم أزد

فيك سفافاً وتُقًى نفس

كم حرّمَ العبدُ على نفسه

ما حلّلَ اللهُ على القسّ

لا دارتِ الكأس على فاسقٍ

واعلها بالأفك والدسّ

وَمَن سوى الكأس إذا عوقِرَتْ

مَيَّزت الشَّهْمَ من النِّكْس(٢) ؟

فما له يرتاع من سكرةٍ

تكشف من أخلاقه الشُّكْس(٣) ؟

هاتِ مع الآلام من بَلْسَمٍ

كالخمرِ عندَ المرهفِ الحِسِّ

وأيُّ رجسٍ هو أن تحتمي

من جور أيَّامك بالكأس ؟

يا حبَّذا الرِّجس إذا لم يكن

بدٌّ لدنياك من الرِّجس

---

(٢) النكس : الرجل الذي لا خير فيه .

(٣) الشكس : جمع شكس وهو الخلق الصعب .

الى السلال

« بطل الثورة اليمنية »

شعبٌ نزعت له رشادَهْ — وسلبته حتّى رقادَهْ
وحرمتهُ ثمر الكفاح — وكدت تنسيه جهاده
وشغلت نفسك في مها — دنة الخصوم بلا إفاده
أتراهُ يُصلح نفسه — مَنْ كان فيه الشرّ عاده
جرّب حسامك أو فدع — لسواك أرسان القياده
هيهات ينفع في الذئاب — الكاسرات سوى الأباده
فاترك لغيرك أمرهم — إن كان يعوزك الأراده
أتظلُّ متّكئاً تطالعك — الأمور على وساده ؟
ومناوؤك يزاحمونك — في الحكومة والسّياده

وبيِّتون لك الدَّمار　　وأنت تحلُمُ بالسَّعاده

ماذا ستفعلُ إن طغى　　لهبُ الحريق فكنت زاده؟

أتظنُّ أنَّكَ واجدٌ　　في النَّاس مَنْ ينعى رماده

فانظر لشعبٍ لم تكن　　حققْتَ في أملٍ مراده

إنّي لأخشى أن ترى　　ودَّ العدوِّ ولا وداده

واعطف على بلدٍ رأى　　بك سوره ورأى عماده

ماذا يضيرك في اللَّئيم　　إذا صدعتَ له فؤاده

أتخافُ ربَّكَ أن يموتَ　　المارقون بلا شهاده

جرِّب حسامك واطرح　　خُلُقَ الكرام لمن أراده

إنَّ الدَّسائس لا تُحارَبُ　　بالصَّلاةِ وبالعبادة

جرِّب حسامك في الجُناة　　الآثمين بلا هواده

الكائدين لشعبهم　　الخادعين به سواده

الفارضين على العباد　　نظام خدَّام وساده

التَّائهين بعجْبهم　　وهُمُ النِّهاية في البلاده

جرِّب حسامك في رفاق　　السُّوء أتباعاً وقاده

أَرِهِمْ عواقبَ غيِّهم ... واحسم لمفسدهم فساده

أَرِهِمْ مضاءَ السيف فارقَ ... غمده ونضا نجاده (١)

أَرِهِمْ صيالَ اللَّيث يزأر ... بينهم أَرِهِمْ جِلاده

أَرِهِمْ ثباتَ الطَّود إنْ ... همُّوا به أَرِهِم عناده

أَرِهِمْ جهنَّم يكتوونَ ... بنارها أَرِهِمْ زياده

ما كان ربُّك بالغشوم ... وقد أخافَ بها عباده

(١) النجاد : حمائل السيف ·

دُعاء

أدْعوكَ يا ربَّ السَّماواتِ
تمحو من اللّوح خطيئاتي
أدْعوك يا أرحمَ مَنْ طبَّقَتْ
رحمته كلَّ البريَّات
أدعوك يا أكرمَ مَنْ يُرتجى
عند الرَّزايا والملمَّات
أنتَ الّذي بصَّرتني بالهدى
بعد غروبي في الضَّلالات
لولاكَ يا ربِّي لما أقلعَت
عن غيِّها جامحَ لذَّاتي

إن لم أكن أخلصت في طاعتي

فشافعي مخلصُ نيَّاتي

ما اُقتربَتْ من أَجَلي ساعةٌ

إلَّا تخيَّلْتُ عقوباتي

وَيلي من الحشر وأهواله

إن نُشرت سودُ صحيفاتي

وَيلي من الله إذا لم يَتُب

عليَّ في أحرج ساعاتي

يا دعوةَ التَّائب مَنْ شافعي

عند محيطٍ بالشَّفاعات ؟

هَبْكِ تشفَّعتِ فمَنْ ضامنٌ

أنِّي من النَّار بمنجاة ؟

وأيُّ جدوى ليَ من شافعٍ

إنْ كره اللهُ ملاقاتي ؟

يا دعوةَ التَّائب لا تقنطي

فاللهُ أدرى بالسَّريرات

آدمي

لِمَ أزدري خُلُقَ الوحوش وما حوتْ
من غدرِ ذؤبانٍ وفتكِ ضباعِ ؟

جرّبْتُ هذا الآدميَّ فلم أجد
وحشاً يضارعه شرور طباع

يزهو بتقتيل الخلائق نشوةً
ويرى الدِّماء مباهج استمتاع

يا نكبةَ البلد المروع بعصبةٍ
جمعت شراذم سوقة ورعاع

من كلِّ موتور تشفُّ خصاله
عن سوء منْحَدرٍ وسوء رضاع

في مأتم العقاد

رُزْءٌ حبستُ شجاهُ في أضلاعي

وكتبتُ بالعبرات قبل يراعي

وجعلتُ من بثِّ الفؤاد وحزنه

لحني ومن زفراته إيقاعي

وبعثتُ بالحسَرات نجوى لوعة

للمنطوين على حشاً ملتاع

المُغمضين على الدُّموع جفونهم

المُكتوين بجمرها اللَّذَّاع

الصَّابرين على البلاء وما لهم

غير البُكا من عدَّةٍ ومتاع

السّاخطين على القضاء يعمُّهم
سخط الوجود ونقمة الأجماع

السّاخرين من الحياة ولهوها
الهازئين بزيفها اللمّاع

دنيا على دمع تروح وتغتدي
والنّاس منها في عنيفِ صراع

يتنازعون على زهيد متاعها
ويدُ المنون تفضّ كلّ نزاع

ماذا أصاب أخو الحمام من الغنى
غير الّذي لاقى أخو الأدقاع(1)

لو ينفعُ المثرين طول ثرائهم
زيدوا من الأكفان قدرَ ذراع

عجبي لمن جعل الحياة غرامه
أبداً ويعلم أنّها لضياع

---

(1) الادقاع : الفقر .

لو عاشَ هذا النَّاس في ألبابهم

جعلوا الرَّجاء نهايةَ الأطماع

واكبتُ أحداث الزَّمان فلم أجد

كالموت جِدَّة منظر وسَماع

تمضي السُّنون وتستهلُّ جديدة

والنَّاس بين مشيِّع أو ناع

ونظرتُ في شتّى الوجوه فلم أقع

إلَّا على فزع لهنَّ مُشاع

وهززت للآسين عطف أساتهم

فاذا هُمُ شركاء في الأوجاع

وكشفتُ عن وجه الحياة فهالني

شبحُ المنيَّة من وراء قناع

وشهدتُ أيّامي تمرُّ فلم أجد

لأسايَ غير الدَّمع من أشياع

ماذا أمامي بَعْد إلَّا هَزَّة

ويخرُّ هذا الهيكل المتداعي

أُغْرِمْتُ بالدُّنيا الُهَلُوك (٢) وزدت من

شغفي بصحبتها ومن إيلاعي

عاقرتُ لذَّتها بنشوة حالم

وجرعتُ غصَّتها بصحوة واع

وقرأتُ في الوضَّاح من قَسَماتها

أخبار أقدم عاشق خدَّاع

أذعنت للأيَّام تملي حكمها

إذعانَ مستخذٍ لها منصاع

وكرهتُ عُمراً ما عرفتُ سعادةَ

في ظلِّه أو لذَّةَ استمتاع

فارقتُ أَمْسي يستحثُّ ركابه

بخطىً رواكضَ للفناء سراع

وبسمتُ لليوم الجديد يهشُّ لي

فاذا به إطلالةٌ لوداع

---

(٢) الهلوك من النساء الفاجرة .

وجَرَتْ لغايتها الحياة فكَّسَتْ

في اليَمِّ تحت العاصف الزعزاع [3]

وبدا على ثبج [4] العُباب وموجه

أطراف سارية ورأس شراع

★

إيهٍ أبا الكتّاب أيّ محنّك

في الرأي ودّعنا وأيّ شجاع ؟

بل أيّ ثَبْتٍ في العقيدة لم يزد

في الحقّ غير صلابة ومناع ؟

بل أيّ جبّار القريحة لم يغض

قلماه من وحيٍ ومن إشعاع ؟

لم تَخْلُ يومَكَ من كبير مؤدّبٍ

أو ناشرٍ لفضيلةٍ أو داع

---

(٣) الزعزاع من الرياح : الشديدة .

(٤) الثبج من كل شيء : وسطه ومعظمه .

أطلقتَ للضّاد الفصيح عنانه

في الفنّ سبّاقاً وفي الأبداع

وكتبت لم تترك لأمرة كاتب

قلماً ، ولا من ريشة لصَناع

أجللتَ من أمّ اللّغات عطاءها

ومجالها في الخصب والأمراع

فمشيتَ تحملُ باليَراع لواءها

متقدّم الرّوّاد والأتباع

وعقدتَ ألسنَة الخصوم وما ادّعوا

فيها وما نقدوا من الأوضاع

ووقفتَ للمتهجّمين تردّهم

بسلاح أعنف زاجر ردّاع

لم تقهر السّبعون منك عزيمةً

تنبو العزائم وهي في إزماع

والكاتب المقدام مارد عصره

إن هزَّ مرقمه(٥) غداةَ قراع

حاشا لمثلك أن يضعضعَ همَّه

موصول جهد أو كبير مساع

تمضي الى العُقد الصِّعاب تحلُّها

بوسيع ما أوتيته من باع

وتروضُ من شطط العقول إذا غوت

بالرَّأْي متَّئداً وبالأقناع

ما غِيظَ قلبك في شريف خصومة

أو ضاقَ ذرعك في كريم دفاع

نَزَّهْتَ طبعك أن يميل مع الهوى

بله الآثام وشرَّة الأطباع(٦)

ومنعتَ أن تدمي لسانك شوكة

أو أن يُلاكَ بشائن الأقذاع

---

(٥) المرقم : القلم .

(٦) الاطباع : جمع طَبَع وهو العيب والدنس .

وحملتَ قلبك في يمينك ناصعاً

شأن المنزّه عن رياً وخداع

وجعلتَ من دنياك منبر حكمة

للمنصت الواعي من الأسماع

وبلغتَ من أُخراك غايةَ مجدها

فاطلع بها علَماً مع الطلّاع

اصنام المال

كان قلم الرقابة قد حور بعض الكلمات في هذه القصيدة عند نشرها في ديوان (نبض الوجدان) فاعيد نشرها في هذا الديوان على شكلها الصحيح الذي نشر في كثير من الصحف والمجلات في حينه.

مَنْ زَيَّفَ النّاس أخلاقاً وإيمانا

وصيَّرَ الرّاهب الزّمّيت (١) شيطانا ؟

حلاوةُ المال لم تترك لِذي ورَعَ

دِيْناً ولا لرقيق القلب وجدانا

تَشْقَى الألوف لِتبني مجد طاغية

يزهو على جبروتِ الله طغيانا

وتُحْرَمُ الرّزق كي يُجْبى لمرتزق

بالقسر حيناً وبالتضليل أحيانا

---

(١) الزميت : الجليل الوقور .

لم يَحزم ٱلبدو من جوع بطونَهمُ

إلّا ليصبح كرش الشّيخ ملآنا

ولو أذابوا لرغد ٱلعيش شحمتهم

شدُّوا على ٱلبطن ياقوتاً ومرجانا

قل للمدلّ على الدُّنيا بيسطته

هل أنت أعظم من (فرعون) سلطانا ؟

سَلْ قبره الطَّود هل صانت جنادله

خزانةَ ٱلمَلك ٱلجبَّار جثمانا ؟

وسَلْ أريكته الزّهراء هل صرخت

بنازع التّاج أن يرتدّ خزيانا ؟

مَنْ كان هامد إحساس بفطرته

فليس يخلق منه ٱلمال إنسانا

قد يلبس ٱلميت أبراداً مذهّبةً

وما تزال بعرف ٱلموت أكفانا

والصّرح كالقبر من طين ومن حجر

ما طال لولا رجاءُ النّفع عمرانا

وما السَّحاب بمجدٍ في تمخُّضه

حتَّى يحيل أديم الأرض بستانا

لا تُرهقِ النَّفْس في أعباء زينتها

فلستَ من دميةٍ أسمى بها شانا

النَّفْس بالرُّوح لا بالمال حليتها

والحقُّ أبلجه ما كان عُريانا

كم مُعدمٍ عاش في دنيا قناعته

لم يَأْلُ في هوَّة الأملاك شكرانا

وكم ثريٍّ تمنَّى من متاعبه

لو نام ليلته بالفقْر جذلانا

يا مَنْ يرى في الغنى برهان سؤدده

بغيضُ ظلِّك خيرٌ منه برهانا

هل توَّج الدَّهر بالحسنى أباطرةً

صاغوا لهم من دموع الشَّعب تيجانا ؟

*

أزرى (بقارون) أنداد إذا نُدبوا

خرُّوا على شحِّهم صُمّاً وعميانا

تناهبوا رزق هذا الشَّعب وابتدعوا

للجوع نعتاً وللحرمان عنواناً

قلْ كلُّ مَن عَجَموا البلوى سواسيةٌ

فاستحدثوا من ضروب النعت ألوانا

مَنْ يعذل الجديَ إن شُدَّت مخانقه

فاهتاج قسورةً وانساب سِرحانا ؟

ومَنْ يلوم خويَّ البطن إن جعلت

منه المجاعةُ للشَّيطان معوانا ؟

يأسو الشَّقيُّ بشافي الموت عِلَّته

ويحتسي راضياً سمّاً وذيفانا (٢)

ويجدع الظبي أنف اللَّيث من سَغَبٍ

ويلطمُ الطَّير وجه البحر ظمآنا

---

(٢) الذيفان : السم القاتل .

وليس في الفقر معصوم ومحترم

فقد يكاد يكون الفقر كفرانا

هل عاهد الطغمة المثرون أنفسهم

أن لا يجودوا بمعروف وإن هانا ؟

وهل قضى العرف أن تطمو خزائنهم

سحتاً ويهلك هذا الشعب حرمانا ؟

تملئوا من حرام الرزق وادخروا

مع القناطير لوعاتٍ وأحزانا

ومن عجائب صنع الله مملكة

تغور في جيبهم أرضاً وسكانا

*

خم الرجال جنوناً في تفاضلهم

فما وجدنا سوى الدينار ميزانا

كفى بمومس قرطاس نداولها

أن تجعل الناس سادات وعبدانا

يا ما حنينا الى (الدِّينـار) جبهتنا

يا ما رفعنا الى (الدينار) شكوانا

يا ما عرضنا على (الدينار) أزمتنا

يا ما أخذنا من (الدينـار) فتوانا

يا ما شـــرينا بـه جاهاً ومنزلـةً

يا ما دفعنا له الأخـــلاق أثمانا

يا مـا شـرحنا لـه أسباب علّتنـا

يا ما كشفنا لـه أسـرار بلوانا

يا ما خـلونا بـه في سـرِّ عزلتنا

نشكو لـه أمـر دنيـانا وأخـرانا

حتّى لصـار نشـيداً في كنائسـنا

حتّى لصـار دعاءً في مصــلّانا

لم يبـقَ في الكفر إلّا أن نقول له

قـم يا (مسـيح) وكفِّر عن خطايانا



يا فقيراً في قوته وكسائهْ

وغنيّاً في صبره وعزائهِ

ما يرى الله في الوجود غنيّاً

كالرّضيِّ القنوع من فقرائه

كم فقيرٍ أُريحَ بالفقْر بالاً

وثريٍّ همومه من ثرائه

فاحمد الله أن حباك فقيراً

بأحَبِّ الصّفات من أنبيائه

من إلاك يا ربي

لمن ألجأُ يا ربّي إذا لم تَعْفُ عن ذنبي ؟
وهل للمذنب الخاطي سوى ملجئكَ الرّحب ؟
فإنْ فرّطْتُ في ديني فما فرّطت في حبّي
وهل يخفى عليك الصّدق في الحبّ من الكذب ؟
فكلّل بالتّقى سعيي ونوّر بالهدى دربي
وظلّلني بألطافك عندَ الموقف الصّعب
لئن كنتُ على غيٍّ مع الغاوين من صَحْبي
فما كنتُ ولا كان عدوّ الله من حزبي
يقيني فيك ملءُ النّفس في صحوي وفي شربي

وَمَنْ غيرك مَنْ يعلــمُ بي يا عالم الْغيـب ؟

عبـدتـك غـيرَ مرتاب وهل في الْحقّ من ريب ؟

عبـدتـك في مســرّاتي وفي سقْمي وفي كربي

عبـدتـك مسلماً حقّاً وحسـبي شـاهداً قـلبي

وَمَنْ إلاّك مَنْ أعبـــد مَنْ إلاّك يا ربـّي ؟

من ليالي لبنان

أَعِرْ سَمْعَكَ نجواها وعش في ظلِّ ذكراها

لَيالٍ بعثَتْ فيكَ من النَّشْوة أقصاها

وزانت لكَ دنياكَ وأنستكَ رزاياها

ليالٍ غسَلَ الطَّلُّ حواشيها فندَّاها

وجالَ الزَّهر في خُضْرِ روابيها فوشَّاها

ليالٍ عقدَ الماءُ رواقاً فوق خضراها

وصبَّ العطرَ والنُّورَ رذاذاً فوق حصباها

ليالٍ هجعَ الطَّيرُ بها إلاَّ ثكالاها

وبثَّ الورْقُ أشتاتَ تعازيه فواساها

لَيالٍ نَنْشُدُ الدِّفءَ | وما حلّ جماداها(1)
وَنُرخي هَدَبَ السَّرو(2) | ظِلالاً تتفيّاها
لَيالٍ كُنتَ تغتاظ | إذا أرفضّ سكاراها
وحانت نشوة الكأس | وقد غاب نداماها
لَيالٍ ما تَسَمَّعَتْ | أذان الفجر لولاها
ولا هلَّلْتَ للنُّور | وقد طبّق أرجاها

★

رَعَى اللهُ (بماديرا)(3) | نجوماً كنت أرعاها
وأتلو رائع الشِّعر | على ضوء محيّاها
إذا غنّيتُ ما يطرب | أرقصت حزاناها
وإن أغرقتُ في الشّجو | سمعتُ الأنَّ والآها
وكفكفتُ حواليَّ | من الأدمع حرّاها

★

---

(1) جمادى : هو شهر جمادى الهجري .
(2) السرو : نوع من الشجر غير المثمر .
(3) فندق ماديرا في بحمدون في لبنان .

(أنيسي) (٤) وعزا نفسي إذا ضجّت بشكواها
ومعواني على الدّمعة في نحري مجراها
وخدني في اللّذاذات سهرنا اللّيلَ جرّاها
وألطف مَنْ جلا كأساً وأظرف مَنْ تحسّاها
تحايا لك من قلبي ظِلال الأرز مسراها
وحيّا اللهُ (آمالاً) (٥) وأبقاك وأبقاها
وجازاني على الصّبر بلقياك ولقياها
وهل يعْشق إلّاك وهل يعْبَد إلّاها ؟
كفاني كِلْمَةٌ منكَ ومنها أتلقّاها

(٤) انيس : احد اصدقاء الشاعر ·
(٥) آمال : كريمة انيس ·

أُدَبَاء

كرَّسْتُ للأدب الرَّفيع مواهبي

وتركتُ نفسي في عذابٍ مؤلمٍ

خِلْتُ الحياة على تقلُّب وجهها

قسطَ الذَّكيِّ وحصةَ المتعلِّم

فإذا الرَّجاحةُ للأقلِّ كفاءةً

وإذا الصَّدارةُ للأصمِّ الأبكم

ليلة في الشوير

أينَ من أرضها أديم سماها

أيْنَ وضّاح صبحها من دجاها ؟

أين سحر يَسبيك منها غدوّاً

من فتون يُغْريك في ممساها ؟

ربوةٌ من جنان (لبنان) حلّت

من أعالي (الشّوير)(١) عالي ذراها

شارفت ليل عرسها فاْستحالت

جذوةً من مصاغها وحلاها

(١) الشوير : احد مصايف لبنان .

مارجُ الدُّرِّ فوقها يتلظّى

في خضمٍّ من عسجديٍّ سناها

وشظايا اللُّجين تومضُ في الأفق

وتهوي كالشُّهب في أرجاها

أتُراها تضرَّمت عن عقيق

أم على ألماس لألأت صفحتاها

أم بحافاتها قذائف تبرٍ

تتهاوى في سندسيٍّ حشاها

وَهَجٌ جلَّلَ السَّماوات نوراً

واحتوى الأرض سهلها ورباها

أطَوَى اللهُ غاسق اللَّيل وهناً

أم مصابيح عرشه أذكاها ؟

يوشك الجنُّ أن يرابطَ في الجوِّ

فراراً من رجمها وصِلاها

وإخال النجوم ترصد منها

كوكباً لاح في سحيق سماها

شعلةٌ من وضاءةٍ وفتون

يقصر السِّحر عن بلوغ مداها

*

رُبَّ روميَّةٍ وما عرفَ الحسن

لآرامِ (رومة) أشباها

برزت من كِناسها تتهادى

في عزيزٍ من دلِّها وصِباها

يتنزى الجمان في مفرقيها

كتنزّي القلوب في لقياها

عصبت رأسها بمنديل ورد

شغلتنا عن حسنه وجناها

وأزاحت عن هالة الصَّدر شفاً (٢)

طالما ذرَّ خلفه قمراها

لو ترانا وقد أطافت علينا

كيف يلوي بعطفنا عطفاها

---

(٢) الشف : الثوب الرقيق .

تركتنا ونحن بين مهيضٍ (٣)

وصريع مجدَّل بهواها

ندَّربها (٤) باللَّحظ نقتنصُ البسمة

منها ما أفلتت شفتاها

كم نصبنا لها حبائل أسر

ورجعنا وكلُّنا أسراها

يا لها من غريرةٍ ذات عُجْبٍ

ليس للنفس حيلة في رضاها

هالها أنّنا مجوس لحاظٍ

ليس يألو تقريعنا حاجباها

فصلتنا من نار (روما) جحيماً

وأرتنا (نيرون) يذكي لظاها

★

جلَّ سحر المزمار ما فاه حتَّى

خلتَ جنّاً من عبقر أغواها

---

(٣) المهيض : مكسور الجناح .

(٤) ندَّريها : نخاتلها .

ورماها بالسمِّ في جانبيها

فلواها ومدَّها وثناها

يتمنَّى الحواة(٥) لو أنَّ أفعى

مثلها دار صدرها في قفاها

أين (موسى) وسحرهُ وعصاهُ

من أعاجيبها وسحر عصاها

تستخفُّ الموزون ذبّاً وقفزاً

لا يداها أعيت ولا قدماها

في لِداتٍ أطرى خدوداً من الورد

وأبهى جيداً وأندى شِفاها

راقصاتٍ على ترانيم عزف

لو تسنَّى لميتةٍ أحياها

إن جرى شمالاً سقاها شمولاً

أو صَبا في هديله أصباها

كلَّما نوغيت بلحنٍ شجيٍّ

هتكت وجدها وفضَّت جواها

---

(٥) الحواة : جمع حاوي وهو الذي يرقي الحية .

ليت شعري أمِن نسيمٍ وظلٍّ

أنشأ اللهُ خلقها وبراها ؟

يتأوّدْنَ أضلعاً ويهفهفنَ

خصوراً وينتفضنَ جباها

فكأنّي بهنَّ في نشوة الرَّقص

يسبّحْنَ بالقدود الألَها

ليس يدري مفتوننا أين جازت

روحه في طوافها وسراها

أطوَتْ قبّةَ السَّماء فهامت

بين جوزائها وبين سهاها ؟

أم أنافت على الطِّباق فوافت

جنَّةَ الخلد في ذرى علياها ؟

واسترادت خضراءها وتندَّت

برفيفٍ من ظلّها وجناها ؟

وتغشّت أستارها فأقامت

ضيف أحلامها وأنس رجاها ؟

ليس هيناً أن تهبط الأرض روحٌ

حَظِيَتْ بالسّعيد من مثواها

*

إيهِ (لبنان) والحياةُ همومٌ

لو بغير (العراق) خفّ شقاها

أتعودُ (الشّوير) يوماً فتحيي

ليلةً في جوارها نحياها ؟

ليلةً تكشف العنا وتواسي

أنفساً طال حزنها وأساها

طوّقتنا (الشّوير) آلاء نعمى

ليس يفنى على المدى ذكراها

لا تعدّت أرجاءها (ليلةُ القدْر)

ولا جاوز السّرور فناها

ولى الشباب

لا تَبْتَئسْ إنْ جار دَهْرُكْ ... ونعاكَ في الخمسينَ عُمْرُكْ

ولّى الشّباب ولم يَدَعْ ... لكَ بعده شيئاً يسرُّك

قد كنتَ تسحر إنْ رنوتَ ... فأين منكَ الآن سحرك ؟

أين افترارك كالرّبيع ... إذا تبسّم أين عطرك ؟

قد كان من أرَج الرّحيق ... يضوع كالفردوس ثغرك

واليومَ لا ريّاك بالرّيّا ... ولا بالخمر خمرك

هذي الدّموع نواطقٌ ... عمّا يبيت عليه صدرك

حرّان من هجر النّساء ... وكان يقتلهنّ هجرك

سكران من لوعاتهنَّ وكان من فيهنَّ سكرك
هيمان تضرب في الخيال وليس يَعْرَف مستقرُّك
تهوى وتخشى أن يشيع وأنت في الخمسين أمرك
حتّى ليوشك أن يفلَّ تصبُّر الأطواد صبرك
ماذا ستفعلُ إنْ فشا بين الملاح الغيد سرُّك ؟
وعدا عليك المرجفون وجال في الأوساط ذكرك ؟
أتقولُ أنّكَ بَعْدُ في شرخ الصِّبا فيضيع قدرك
هات الّتي تحنو عليك إذا انحنى كالقوس ظهرك
هات الّتي يحلو لها في مذبح الشّهَوات طهرك
هات الّتي يسمو بها في عالم الأرواح شعرك
هيهات إنْ حكَمَ الهوى أنْ يقنع العذراء عذرك
ما الحبُّ شعرك حين تنشده ولا الأغراءُ نثرك
سِمَةُ الهوى سيماك سافرة الجمال وليس سِفْرك
مَن يرتضيك إذا هرمت وزيَّنَ القرطاس سطرك ؟
أوَ ليس دمعك ما يرقرق في العيون وليس حبرك ؟

أَوَ ليس قلبك ما يصفّقُ | في الضّلوع وليس فكرك ؟
تَعِظُ القلوبَ ومِنْبرُ | الوعّاظ قبل الموت قبرك
وتسفّه الدّنيا الغرور | وليس غيرك من يغرّك
ولّى شبابك وانتهيت | وزال من مرآك بِشْرك
وفرغت من كيّ القلوب | وعاد يلذع فيك جمرك
لم يَبْقَ عندك إنْ دعا | داعي الصّبا إلّا مفرّك
يكفيك من عَبَثِ الصّبا | أنْ طبّقَ الآفاق وِزْرك

نجوى

(آمالُ) يا فتنةَ دنياكِ — أيُّ مـلاكٍ يتحـدّاكِ ؟

بل أيُّ حسناء على تيهها — أخجلها غير محيّاك ؟

عيناكِ ما الفجر إذا شعّتا — وما الضّحى إنْ رفّ خدّاك ؟

ما افترّ لي وجهكِ عن حسنه — إلّا تدلّهْتُ بمعناك

من أينَ للخمرة هذا الجَنَى — يملؤ من فغوته[1] فاك ؟

من أين للزّهرة هذا الشّذا — إنْ نفحت بالطّيب ريّاك[2] ؟

من أين للؤلؤ هذا السّنى — يلمعُ من غرّ ثناياك ؟

---

(١) الفغوة : نفحة الطيب .

(٢) الريّا : الريح الطيبة .

كم قُبلةٍ عوطيت نابع بها عن ثغركِ الورديّ كفّاك
وخمرةٍ عاقرتُ جادت بها عليَّ بالتفتير عيناك
ما أسعدَ الحظَّ لمن ضمّه صدركِ أو عاطاه نهداك
حَسْبي إذا بادلتني نظرةً عذريّةً غَيْظُ أحبّاك
(آمال) ما أعذبها لفظةً تنعش آمال معنّاك
ما وقعت عيني على خلّةٍ فيك ولم تعشق سجاياك
قلبي فدى قلبك من طاهرٍ سيماهُ في ظاهر سيماك
سَلي أباكِ البرَّ وليَبْقَ لي فمثلما أهواهُ أهواك
سليه مَنْ أوحى الى قلبه أنّكِ آمالي فسمّاك ؟
(آمال) لو تدرين ما شفّني بعدك من حزن لأضناك
أفزع في الصبح الى عَبْرتي وأقطعُ الليلَ بنجواك
أحسبُ يومي ساعةً ساعةً منتظراً ساعة لقياك
ما ابتدرتني بسمةٌ حلوةٌ إلّا تذكّرتُ تحاياك
(آمال) لا أُنبيكِ عن غربةٍ صارعتُ فيها الموت جرّاك
كفى بنور العين من فديةٍ يحسدني فيها ضحاياك

فألهمني الصَّبْرَ أخا لوعةٍ لو باحَ بالوجد لأبكاك

(آمال) ما أَبْعَدَ ما تنمحي من خاطري ما عشتُ ذكراك

أَيْنَ الَّتي أَلْقَى بها جنَّةً غيركِ في عيني لأنساك ؟

(آمال) ما آلَمَها قسوةً أن تهجري مَنْ كان يرعاك

إنْ كنتُ أُذْنِبْتُ فمَنْ ذا الَّذي يشفعُ للتَّائب إلَّاك ؟

هل خانك الصَّفْح فلم تعذري عبدك في الحُبِّ ومولاك ؟

وهل خلا قلبك من رحمةٍ حاشاكِ يا (آمالُ) حاشاك

لو كنتُ أدري سرَّ شكواكِ لي جعلتُها آخر شكواك

لا تحكمي ظلماً على شاعرٍ ألهمتِهِ الشِّعر فغنَّاك

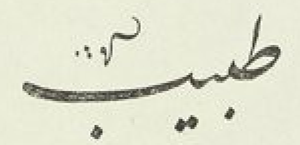
هل تنفع المعذور أعذاره إنْ كرهت تسمع أذناك ؟

كم خبرٍ منِّي تلقَّيتِهِ فما الَّذي جدَّ فألهاك ؟

أغراك بالنسيان طول النَّوى وليته بالشَّوق أغراك

ما ضرَّ لو أنصفتِني ليلةً وزارني في الطَّيْف مرآك ؟

أهكذا تقسين يا حلوتي رحماك بالشَّاعر رحماك



وطبيبٍ لَبّى نداي وجسمي

يتلوّى طول الدُّجى آلاما

جسّ نبضي كمَنْ يجسُّ عليلاً

يوشك الصُّبْحَ أن يموت سَقاما

فحماني من أنْ أعلّ شراباً

ونهاني عن أنْ أذوقَ طعاما

لكأنّي به يعالج لحماً

ويداوي جلداً ويشفي عظاما

أيُّ طبٍّ هذا الّذي ليس يدري

أسقاماً ما أشتكي أم غراما ؟

حامد

لا كانَ هذا العمر يا (حامدُ)[1]

فرحةُ يومٍ وأسىً خالدُ

لم تُبْقِ قلباً لم يذُبْ حسرةً

أو مقلةً محجرها جامد

أيُّ رجاءٍ ظلَّ في خيرٍ

أرجوهُ والموت له راصد ؟

ما جالَ يوماً قطُّ في خاطري

أنَّكَ قبلي جسدٌ هامد

(١) حامد : هو المرحوم السيد حامد الراوي صديق الشاعر الحميم.

يا لمصابٍ لم يدَعْ سلوةً

يسلو بها عن وجده الواجد

أينَ ندَى كفِّك فيّاضةً

يدفقُ منها الكوثر الرّافد ؟

وأين راضي خُلُقٍ طيّبٍ

يلقى به نجعته الرّائد ؟

وأين مفترٌّ جَنَى غرسةٍ

تعهّدتها الأمُّ والوالد ؟

أيلتوي ضاحك نوّارها

وغصنها بعْدُ بها مائد ؟

ما أفدحَ الخطب لدى آمل

يُسْلَب منه الأملُ الواحد

ذكراك يا (حامدُ) لا تنمحي

منّي وهذا مدمعي شاهد

فَجَعْتَ بيتاً هجت من حزنه

ما لا يطيقُ الجبلُ الصّامد

رَجّعَ[2] في نعيك مستعبراً[3]

فضجّ يبكي الملأُ الحاشد

لا حُرِمَ (الرّاوون)[4] من ماجدٍ

يخلفه إذا قضى ماجد

---

(٢) رجّع : قال انا لله وانا اليه راجعون .

(٣) استعبر : ذرف العبرات .

(٤) الراوون : هم آل الشيخ ابراهيم الراوي وكان المرحوم المرثي من هذه العترة .

إستغفار

غفرانك اللهمَّ ربي — لكبير معصيتي وذنبي
تابعتُ غيّي سادراً — بين الغواة فجلَّ خطبي
وأمرتني بالصالحات — فأعمت الشهوات قلبي
ونهيتني عن كلِّ ما — لا ترتضيه فلم أُلَبِّ
وتركتني وأنا الضعيف — حليف أسقامي وكربي
ومنحتني الصبر الجميل — فكنتَ تعزيتي وطبّي
وجعلتَ من فزعي لديكَ — مزيد أشواقي وحبّي
وعمرتَ قلبي باليقين — وكنتُ في غلواء ريبي
ووهبتَ لي رَشَداً أصونُ — به من الأهواء لُبّي
وفتحتَ صدري كي براكَ — وإنْ سددت عليَّ دربي
وشملتني بكريم لطفك — لا أُراع وأنتَ قربي

جَاحِد

خرجَ اللَّئيم عليَّ ينكرُ منَّتي

وبجيده نِعَمي الَّتي لا تُنْكَرُ

مَن ذا الَّذي سلمت جوازي فضله

من جاحدٍ يشكو وبَرٍّ يشكر

حتَّى الَّذي فطرَ الخَلائقَ كلَّها

خَلْقٌ يدين به وخَلْقٌ يكفر

في سطور

تيهي بمُخْملِكِ الحريرِ وتنقّلي بين الزُّهورِ

بينَ البنفسج والأقاح مرنّحين على الغدير

والورد يضحك للنّدى والفُلُّ يقذف بالعبير

تيهي على مرح الصِّبا بشبابك الغضّ النّضير

واغني بحلّة دفّتيك عن الغلائل والحبير

تيهي بما في مُلْتَقَى شفتيك من نارٍ ونور

وتنفّسي عن عابقِ الرّيحان في اليوم المطير

تيهي بقدّكِ هازئاً بطراوة الغصن الطّرير

ما رفّ معقودُ الجَنى كرفيف معقود الخصور

تيهي بدلّك إنْ تمايسَ　　كلُّ ذي دلٍّ غرير

واُستنهضي نهديك يحتذيان　　حذوك في الغرور

المفعمينِ بخير ما　　حوت الزّنابق من عطور

التّوأمين تراضعا　　درَّ المراشف والثّغور

الأمردين سباهما　　حبُّ التّبجّح والظّهور

البرعمين تبوّءا　　رفّافَ عرشهما الوثير

أين البراعم في الغصون　　منَ البراعم في الصّدور ؟

تيهي على أترابكِ　　الخفرات من عينٍ وحور

المترفات النّاعمات　　النّاشيات من السّرور

الرّائحات الغاديات　　كمثل أسراب الطّيور

تيهي بأسمى ما لديك　　من العواطف والشّعور

بالحبّ ينفح طيبه　　من قلب عذراءٍ طهور

(آمال) يا زين الحسان　　وجلَّ حسنك عن نظير

شوقي وكلُّ عواطفي　　حبّرتها لكِ في سطور

إكليل الأربعين

في ذكرى شهداء الوثبة العراقية الذين هزموا معاهدة (بورتسموث) سنة ١٩٤٨ في معركة الجسر الفاصلة في بغداد والتي صبغت شاطئي دجلة بدم الاحرار من الشباب

رَشَأٌ بغَيْهَبَةٍ (١) أغارْ — سَلِمَ المُغيرُ من العثار
صَدَعَ الزّحام بمنكبيهِ — ودونه الأَسَلُ الحِرار
ومضى فلم يمسك به — روحُ التّهيّب والحَذار
بَغَتَ القريعَ بهمّةٍ — في الشّاطئين لها أوار
يذريه خرطوم الحديد — فلا يزيد سوى استعار

كان قلم الرقابة يومئذ قد حور بعض اشطر هذه القصيدة عند نشرها في ديوان (نبض الوجدان) فنعيد نشرها في هذا الديوان على شكلها الصحيح .

(١) الغيهبة : الجلبة في القتال .

يـنحــو له أنّى نحـا ويدور من حيث أستدار
فكأنّما انهمر الرّصاص عليه في وهج النُّضار
يصطـــاده بيمينـــه فاذا هوت رفع اليسار
آلى ليملأ صـــدره منـه بأوسمة الفخـار
همس الشّباب بأذنـه حُلُم العرائس بالنّثار (٢)
فرأى الوميـض بشارةً جاءت على غير انتظـار
يكبو وينهض هاتفاً كالرّيح ليس لـه قـرار
إنْ فاتـه غـدر الذّئاب فحسبه كرُّ المهـار
لا اللّيلُ عطّل ساعديه عن الكفاح ولا النّهـار
غارُ البطولة فوق مفرقه ضمــادةُ جُلّنـــار
فتكت به زُرْق النّصال فما تشبّث بالفـــرار
مَنْ كان عـدّته اليقين فلا نكوصَ ولا اندحار
لم يدرِ ذائده أمصطدمٌ بأهيـف أم جـــدار
وإذا النّفوس تنمّرت مسكت بأشداق النمار (٣)

---

(٢) النثار : هو ما ينثر في العرس على الحاضرين .
(٣) النمار : جمع نمر .

خَفَرَتْ شبيبته فخطَّ — من النَّجيع لها عِذار

يهتزُّ من طربٍ بمشْيته — وما ذاقَ العقـار

غرزت بجنبيه الحراب — فما أفاقَ من الخُمار

قد يَسْكَرُ المتظلِّمون — على بساط دمٍ ونار

★

مَنْ ذا أباح دَمَ الصَّغير — رأى كبيرَ القوم جار ؟

أ تُراهُ أعياهُ العُقاب — فشكَّ حوصلة الكَنار ؟

لله نومته الرَّضيَّة — لا وساد ولا دثار

ودَّ (البراق) لو استقلَّ — جناحه الدَّامي وطار

اللهُ باركه وبارك — قِبْلتيه على غِرار

طُلبَ الخلاصُ على يديه — فهبَّ من غير اعتذار

أكْبِرْ بمعصومٍ غَلَت — فيه حميَّته فثار

خطَّ الخلود براحتيه — وشاد من دمه منار

★

أمثير ذكرى الأربعين أثرت أوجع ما يُثار

زرت الشّهيد معفّراً ماذا خلعت على المزار ؟

أوضعت إكليل المنون عليه أم إكليل غار ؟

أغمرته بالورد أم بسخين أدمعك الغزار ؟

حقُّ الشّهيد عليك أكثر من طوافٍ واعتمار (٤)

نمّقْ لغضِّ شبابه ورداً كمهجته ازدهار

نمّقْ له زُهْرَ الأماني لفَّ ضاحكها السرار (٥)

نمّقْ له ثكل الأمومة والعشيرة والدّيار

نمّقْ له شعباً تخبّط بالضّحايا فاستتار

★

أسياسةٌ هي أن يُعنّف بالوديع فيُسْتثار ؟

عُجْب المدلّ إذا طغى جرّ الحياة الى دمار

حُمم الجبال زحامها والضّغط آخره انفجار

---

(٤) الاعتمار : الزيارة والحج .

(٥) السرار : آخر ليلة من ليالي الشهر .

يتعلّلُ المظلوم أنَّ له — مع الظُّلّام ثار

سخريةُ التّاريخ أنّك — بَعْدُ تهزأُ بالصّغار

أ رأيتَ كيف يد الصّغير — تكون فوق يد الكبار ؟

أ رأيتَ مَنْ صرعَ العتوّ — وفكَّ أغلال الأُسار ؟

أ رأيتَ مَنْ هزمَ الجحافلَ — بالعصيّ وبالحجار ؟

لا يأخذنَّكَ بالضّعيف — شعور هُزْءٍ واحتقار

سُحُبُ الدُّخان منَ الفتيلة — والحريقُ من الشّرار

هل مالَ بالدّوح العريق — سوى الدّقيق من الغبار

سهمُ المنيّةِ شوكةٌ — واللهُ ربُّكَ ذو اقتدار

وزير قاسم

يا جارحي بلسانه — والحقدُ ملءُ جنانه
خلِّ (الحطيئة) نائماً — واحذر (جرير) زمانه
وتوقَّ شعري عائذاً — باللهِ من شيطانه
أنا إنْ هززتُ منيعَ — جاهك خرَّ من أركانه
وتركت رأسك في الحضيض — يدور من غثيانه (١)
ماذا تريد من (الزّعيم) (٢) — تثير من أضغانه ؟
ومَنِ (الزّعيم) أخافه — وأخاف من سلطانه ؟
ومَنِ (الزّعيم) إذا قرنت — مكانتي بمكانه ؟

---

(١) الغثيان : الاضطراب الى درجة التقيؤ .
(٢) الزعيم : كان لقب عبدالكريم قاسم دكتاتور العراق .

ومَنِ (الزّعيم) ولا أَذلُّ   عليه من هَذَيانه ؟
هل (للزّعيم) زعامةٌ   إلّا على صبيانه ؟
لا أيَّدَ اللهُ (الزّعيم)   وأنت من أعوانه
وكفى بمثلك أن يكون   دعامةً لكيانه
عاش الوزير القاسميُّ   على حقارة شانه
عاش الوزير وإنْ يكن   وزراً على أوطانه
عاش الوزير مجلَّلاً   بالعار من غلمانه
عاش الوزير تهبُّ ريحُ   الفسق من أردانه
ينهى ويأمر غاضباً   والبول في سيقانه

شاعرٍ وعقار

أيُّ عبءٍ عليكَ هذا النَّهارُ
لا نَدامى بهِ ولا سمَّارُ

أجمالُ الحياة غير نديمٍ
تصطفيه وغير كأسٍ تُدار ؟

وحبيبٍ إذا تنفَّس هبَّت
من نواحيه نسمةٌ مِعْطار ؟

وَلَبِئْسَ النَّهار إنْ هامتِ النَّفس
فلا حانةٌ ولا خَمَّار

رُبَّ ليلٍ تحييه أسوَدَ داجٍ
لا يضاهيه في الجمال افترار

ونهار ما ذرَّ في الأفق إلَّا

لتــذرَّ الهمومُ والأكدار

أفحتمٌ عليَّ أنْ أهجع اللَّيــلَ

وتأبى أنْ تهجــعَ الأوطار ؟

ولمَ النَّوم ما وجــدتُ حبيباً

همُّه اللَّيــلَ شاعرٌ وعقار ؟

ولمَ الصَّحْو والحياة شــرابٌ

ونــديمٌ وقُبْــلَةٌ وحوار ؟

ولمَ الصُّبح إنْ تجهَّــم يومي

واكفهرَّت بوجهيَ الأنوار ؟

حبَّــذا اللَّيل موعداً لحبيبٍ

أقســمَ الدَّهْرَ صبحَهُ لا يُزار

يا حبيــبي ويا نجيَّ فؤادي

أمِنَ الكأس إنْ حضرتَ فِرار ؟

رشفةٌ منك تغمر الصَّدر طيباً

وبأخرى يزول عنــه الأوار

يا حبيبي وما عرفت حبيباً

من نسيم الصَّبا عليه أغار

أتمنَّاك جنَّةً في عيوني

وجحيماً إنْ حدَّق النُّظَّار

أكبح الشَّوق جامحاً في فؤادي

فيرى الدَّمع طافحاً فيثار

يا حبيبي وأيُّ قلبٍ كقلبي

ناصعُ الحبِّ ما عليه غبار

أنتَ إلهامُ خاطري في منامي

وكتابي إذا أطلَّ النَّهار

أتمنَّاك لو قرأْتَ شعوري

وتغنَّت بغيرك الأشعار

أنت أسمى من أنْ أُبثَّكَ شعراً

يزدريه جمالك القهَّار

أيُّ حُسْن كحسن وجهك معنىً

كلُّ ما فيه جدَّةٌ وابتكار ؟

يا حبيبي وأيُّ حُبٍّ كحبّي

لهبٌ من عواطفٍ وشرار ؟

أرقبُ الوصلَ جازعاً ونصيبي

أبدَ الدّهر موعدٌ وانتظار

أيُّ حظٍّ في العاثرينَ كحظّي

تتبارى في نحسه الأقدار ؟

كلّما قلتُ في غدٍ لي لقاءٌ

خاب ظنّي وجاءتِ الأعذار

يا حبيبي غمرتَ (بيروت) لطفاً

(وبغداد) من فراقك نار

ولَنِعْمَ العزاء لو كان يغني

عن لقاك الحديث والأخبار

ومتى نابَ عن مرادٍ خيالٌ

وأعادَ العهد السّعيد ادّكار ؟

ليت نفسي قضت (ببيروتَ) نحباً

واستقرّتْ بها ونعمَ القرار

خمرٌ وشِعر

وفيْتِ يا راحُ فلا تغدري

ما دمتُ في حُبِّكِ لم أكفرِ

أفنيتُ عمري فيكِ لم أفترق

عنكِ ولم أسأم ولم أضجر

زيّنْتِ لي السُّكر ولذّاته

حتّى انقضى العمر ولم أشعر

خمسونَ لم أعرف بها ليلةً

فارقتني فيها ولم أذكر

لا تعبثي بالشّيب في مفرقي

فليس طول العمر بالمظهر

شهدتِ (فرعون) وأهرامه
وعرش (بلقيس) فلم تكبري

لو قستُ عمري بك لم يبق لي
عمرٌ سوى ما مرَّ من أشهر

لستِ بمن يغريه شرخ الصِّبا
أو أنتِ من يحفلُ بالمنظر

ولستِ في سوق الهوى سلعةً
لمن يبيعُ الحبَّ أو يشتري

مَنْ ذا الذي أشممته نفحةً
من خدِّك الورد ولم يسكر ؟

يا حلوةَ الرِّيق وكم موثر
حلاوةَ السُّكْر على السُّكَّر

هل عرف الأُنس وهل ذاقه
مَنْ لم يذق فاكِ ويستكثر ؟

كم جاحدٍ فضلكِ مستنكر
عليَّ ما ليس بمستنكَر

عاتبني فيك فلاحيته

فزاد في العَتْب ولم يعذر

لا بورك النَّاصح من جاهل

وتبَّ إفك الطِّبِّ من مفْتَرِ

كم بين مَن يوليك شكرانه

وبين مَنْ يرميك بالمنكر

هل أنتِ إلَّا قبسٌ من سنىً

يبدو به الأعمى من المبصر ؟

يا راح كم أهديتِ لي قُبْلَةً

شممتُ فيها أَرَجَ العنبر

مسكيَّةَ الأنفاس إن شمَّها

ميْتٌ ببطن الأرض يستعطر

يا راح زيدي مَرَحي نشوةً

فلستُ ما عشتُ بمستهتر

أكادُ إنْ فارقتني ساعةً

أسألُ نفسي كيف لم تصبر

دنيايَ لولاكِ بلا لذَّة

وأيُّ فردوسٍ بلا كوثر ؟

كم آثر العاشقُ معشوقةً

غيرك يا راح فلم أوثر

لو قدَّرَ اللهُ وفارقتني

دعوتُ أنْ ألقاك في المحشر

ما لذَّة العمر إذا لم أذق

خمراً ولم أعشق ولم أسهر ؟

ليدَّعِ النَّاسكُ ما يدَّعي

وليزدرِ الصَّالح ما يزدري

يا راح جلَّ اللهُ من غافر

ذَنْبَ عظيمُ الذَّنْبِ مستغفر

صدى اليأس

متى ينجابُ عنكَ دُجى الخُمولِ

وتشهدُ صحوةَ النَّومِ الطَّويلِ ؟

تبلَّج نور هذا العصر حتّى

أصابَ العُمْيَ فيه هُدى السَّبيل

فهلّا بثَّ فيك قليلَ وَعْيٍ

وإدراكاً ولو دون القليل ؟

تأمَّلْ في شعوب الأرض طُرّاً

أظَلَّ سواكَ يرسفُ في الغلول ؟

تيقَّظَ مَنْ ظننتَ لكلِّ ميْت

معاداً غير نومهمُ الثَّقيل

رأَوا دونَ النُّزول لحكمِ باغٍ

مؤاثرةَ النِّزال على النُّزول

ألم تسمع لزأرتهم دويّاً

يجلجل في الهضاب وفي السُّهول ؟

ألم تشهد لوثبتهم صراعاً

تميدُ الأرض فيه من الذُّهول ؟

مشوا يبنون في فخرٍ عُلاهم

بعزمٍ هازيءٍ بالمستحيل

وخاضوها معامعَ من كفاحٍ

أقضَّت كلَّ محتلٍّ دخيل

لِمَنْ تلك الخلائقُ زاحفاتٍ

تدقُّ بشائر الحَدثِ الجليل ؟

لِمَنْ تلك الشَّوارع طامياتٍ

كمدِّ السَّيل يبحث عن مسيل ؟

لِمَنْ تلكَ النِّساء مزغــردات
تصفِّق للجــريح وللقتيـل ؟
تعالى اللهُ ماحقُ كلِّ باغٍ
وناصرُ كلِّ مخـذولٍ ذليـل

*

أفِقْ إنْ كنتَ في أحلام مجدٍ
نذرت لـه حياتك للوصــول
فما كانَ الهوانُ سبيلَ عزٍّ
ولا كانَ المنالُ عطا منيل
تراكضتِ الشّعوب إلى مداها
فأين مكان صفِّك في الرَّعيل
وأينَ القادرونَ على كفاحٍ
تخــورُ أمامه هممُ الفحول
أهذا الرَّهْطُ من جيلٍ عتيقٍ
تقادَمَ عهــده بين الطُّلول

أمِ الجيلِ الجديد وقد رُزئنا

بجيل بزَّ سيرة كلِّ جيل

فلا الأهدافُ ساميةُ المرامي

ولا الأخلاق زاكية الأصول

تخلّوا عن عقائدهم ودانوا

بمختلف المباديء والميول

ودبّت لوثَةُ الشَّهوات فيهم

فما تدري الهجين من الأصيل

مناسكُ حجِّهم صالاتُ رقص

وزمزم طهرهم صافي شمول

يَزين وقار أمثلهم وقاراً

ترنُّح عِطْفه عند المثول

إذا استنهضته لعصيبِ يومٍ

تكسَّر في يديك من الذُّبول

وأبدى للميوعةِ كلَّ زيٍّ

سوى لبس الخلاخل والحجول

تكادُ الرِّيحُ تجرحُ عارضَيْه

وتحرقُ خدَّه شمسُ الأصيل

*

أرِحْنا ما لسقمك من علاجٍ

ولا لشديد كربك من مزيل

أرِحْنا ما لصحوك من رجاءٍ

ولا لقريب بعثك من دليل

أرِحْنا واْسترح من غَثِّ نشءٍ

بليت به ومن جيل هزيل

وعزِّ بنيك بالأذلال دهراً

وبالتَّشريد خاتمةَ الفصول

يا موج

يا مـوجُ يا أماسُ يا نـاعـمُ

يرقصُ فيـه الزَّنْبَـقُ الـعـائـمُ

إنْ حـامَ في أرجائـه حائـمُ

هشَّ إليـــه البرعمُ النَّـائـمُ

يا موجُ يا أملسُ يا ناعمُ

يا موج لولا صدركَ الشَّـائلُ

خافَ عـلى أطيـارك الزَّاجـلُ

مـا لَكَ لا قَعْـرٌ ولا سـاحـلُ

إلَّا عُبـابٌ صـاعـدٌ نـازلُ

يا موج يا أملس يا ناعم

الشَّمْسُ في صحنكَ والكوكب

كلاهمـا من ظمـأٍ يلهبُ

تلك لظى أشواقها تسكبُ

وذاك من أحداقها يشربُ

يا موج يا أملس يا ناعم

واللجُّ بين العجز والـكلكلِ

آخـره يمسـكُ بالأوَّلِ

يرتطـمُ الأعلى على الأسفلِ

ويدفعُ المـدبر بالمقبـلِ

يا موج يا أملس يا ناعم

والبحرُ لمَّا هـاجَ بركانُهُ

وانطلقت تسبحُ نيرانُهُ

رفَّ على اللؤلؤ عقيانُهُ

واهتزَّ فوقَ الدُّرِّ مرجانُهُ

يا موج يا أملس يا ناعم

والـربوةُ الغـرقى بأزهـارهـا

لم ينـجُ منهـا غير أطيـارهـا

إنْ رفرفَ الشّـوقُ بأوكارهـا

مـدّت له ناعـــمَ منقـارهـا

يا موج يا أملس يا ناعم

النّشْـوةُ المحمومـةُ الصّـاديَـهْ

تصـرخُ في لُجّتـك الطّـاغيَـهْ

والـدّمْعَـةُ المجروحـةُ الدّاميَـهْ

تجهشُ في قبّتــك العـاليَـهْ

يا موج يا املس يا ناعم

وكاتـمُ الشّـــوق على صـبرهِ

يحـرقُ عينيـــه على نحـرهِ

حشرجتِ الأوتار في صـدرهِ

فولولَ النّـاي عـلى ثغـــرهِ

يا موج يا أملس يا ناعم

اَلْفجرُ يسبيك بترتيلهِ

فتوقظ الشَّمس لتقبيلهِ

كراهبٍ خفَّ لأُنجيلهِ

يقرؤه في ضوء قنديلهِ

يا موج يا أملس يا ناعم

يا موجُ كم أغريتَ من ظامىءٍ

مدَّ جناحيه على الشَّاطىءِ

وخاضَ في عالٍ وفي واطىءِ

يبحثُ عن ينبوعك الدَّافىءِ

يا موج يا أملس يا ناعم

يا موج جئناك على زورقٍ

نجذفُ بالسَّاعد والمرفَقِ

جزنا مخاضَ البرزخ الضَّيِّقِ

نمضي الى الأعمقِ فالأعمقِ

يا موج يا أملس يا ناعم

صبابةُ الشَّـــوق لمن أبحرا

أنْ يهـدأ اللَّيـل وأنْ يقْمـرا

فليتَ غـيرَ الثَّغـر مـا نـوَّرا

وليتَ غير الصَّـدر ما عطَّـرا

يا موج يا أملس يا ناعم

أهذا الحب

أهذا الحبُّ يا قلبُ		أهذا كلُّه حبٌّ ؟
أهذا الحبُّ لا نومٌ		ولا أكلٌ ولا شرب ؟
أهذا الحبُّ لا يجدي		به نصحٌ ولا عتب ؟
أهذا الحبُّ لا يقوى		على تطبيبه طبٌّ ؟
أهذا الحبُّ يا قلبُ		أهذا كلُّه حبٌّ ؟

★

تصبّرت على الوجد		وجاوزتُ مدى الصبر
متى تشفى جراحاتي		ويخبو مكمن الجمر ؟

وهذي الغمّةُ الكبرى	متى تنزاحُ عن صدري؟
وهذا المدمعُ الجاري	متى يرقأُ لا أدري ؟
أجبني أيُّها القلبُ	أهذا كلُّه حبٌّ ؟

★

أبثُّ النّاسَ أوجاعي	وما لي من يواسيني
كأنْ لم يبقَ مَن يصغي	إلى أنّاتِ محزون
فؤادي في تباريحٍ	شفاها غيرُ مضمون
وطرفي شبهُ مكفوفٍ	وعقلي شبهُ مجنون
حناناً أيُّها القلبُ	أهذا كلُّه حبٌّ ؟

نسر الشباب

فِي الْعزمِ من إيمانكَ الْمتصلِّبِ

سِمةُ الشّباب الْحافز الْمتوثّبِ

مَكَّنْتَ نفسكَ من كريم أصولها

فتنفَّسَتْ عن كلِّ خُلْقٍ طيِّبِ

حَزْمٌ يرافقُه رقيقُ شمائل

وجراءة قُرِنَتْ بحسن تأدُّب

قَرَّتْ عيونُ مؤمِّليكَ وطالما

أنعشتَ آمالَ الْقلوب الْخيَّب

إنْ يَحْسِروا لك بالدُّعاء رؤوسهم

فجزاءُ ما ظفروا به من مكسب

سلكوا سبيلَ مجرِّبين فأوعثوا(1)

فتنكَّبوا لسبيل غير مجرِّب

ما نفعُ تجربةٍ يصرِّفُ أمرها

عقلٌ حياكته نسيجُ العنكب

ما لونُ تجربة يشفُّ قناعها

عن نابِ ثعبانٍ وشوكة عقرب

ذقنا تحكُّم عصبة لم يعرفوا

غير انتفاخ جيوبهم من مأرب

ما تمتلي أطماعهم من مأكَلٍ

أو ترتوي أحقادهم من مشرب

من كلِّ نهَّاشٍ بهم مستذئبٍ

أو كلِّ عضَّاضٍ بهم مستكلب

ما لاذَ ممتَحَنٌ به في شدَّةٍ

إلَّا وكشَّرَ عن فمٍ متحلِّب

---

(1) اوعثوا : وقعوا في طريق عسر السلوك .

أحماةُ مملكة وهُمْ ذؤبانها

ورعيلهم في كلِّ قاعٍ معشب ؟

إن يظفروا بكَ في مذادكَ راتعاً

نحساً ليومك من ذواتِ المخلب

عبثاً تحاولُ ما ملكتَ وسيلةً

إرهابَ حشدٍ غنيمةٍ متألِّب

إنْ كان من أسفٍ يحزُّ قلوبهم

فذهولهم عن نعمةٍ لم تُسْلَب

كيفَ السَّبيل الى علاجٍ نفوسهم

كيفَ السَّبيل الى شفاء الأجرب ؟

*

حَسبُ المناصب أنْ تسامَ رخيصةً

للرّاغبين وأين مَنْ لم يرغب ؟

لو كنتُ أملكُ خمسةً لشريتها

وجعلتها سَنَدي وباب تكسُّبي

أ تُرى أفوزُ ولو بطيف خيالها

يا بُعْدَ ما حاولت من مُتَطَلَّب

من أين لي شرف الشُّمول بلطفها

ما دمتُ لا عمِّيَ الوزير ولا أبي ؟

فضلُ الحصافة والثَّقافة والحجى

من دونه فضل القريب الأنسب

وأخو الكفاءة مَنْ يكون منافقاً

أو خائناً أو طائفيَّ المشرب

ما شكلُ مملكةٍ نواصلُ دونها

صعبَ الكفاح ونزدري بالأصعب؟

أ هي التي تُبْنى على متسلِّطٍ

إنْ رامَ قتل الشَّعب لم يتهيَّب ؟

أهي الّتي تبْنى على متخرّصٍ

في الأدعياء وجاهلٍ متعصب ؟

أهي الّتي تبْنى على متشبّثٍ

بنيابةٍ أو طامع في منصب ؟

أهي الّتي تبْنى على متلوّنٍ

ذي صفحتين مراوغ متقلّب ؟

أهي الّتي تبْنى على متملّقٍ

للأجنبيّ مرجرجٍ متذبذب ؟

★

نسْرَ الشّباب ومجتلى آماله

ومناره في يومه المترَقَّب

غمّ الشّباب بطولِ ليلٍ دامسٍ

فعسى يكون بك انجياب الغيهب

كم مُدْجنٍ كانت بشارةُ صَحْوه

في جوف حالكةٍ شعاعةُ كوكب

أنا إنْ شكوتُ فما أهيبُ بمطلبٍ

وأجلُّ قدرك أنْ تجيبَ لمطلبي

قد راعني هذا المصير فلم أجد

غيرَ اعتزال يراعتي من مهرب

وأهابني جشعُ النفوس فلذَّ لي

شَظَفُ التقيِّ ومُسْكَةُ(٢) المترهِّب

أعرضتُ عن حَدْب اللئيم وفضله

ونفضتُ وعد المخلف المتكذِّب

وقبعتُ من نَفَق الحياة بغيهبٍ

كالخُلْد (٣) يحتجرُ (٤) الرموس فيختبي

---

(٢) المسكة : ما يمسك الابدان من الغذاء والشراب ٠

(٣) الخلد : نوع من الفئران تعيش تحت الارض ٠

(٤) احتجر : اتخذ حجرة ٠

قد كادَ يقنعني العزوب عن الورى

أنْ ليس أهنأ عيشةً من أعزب

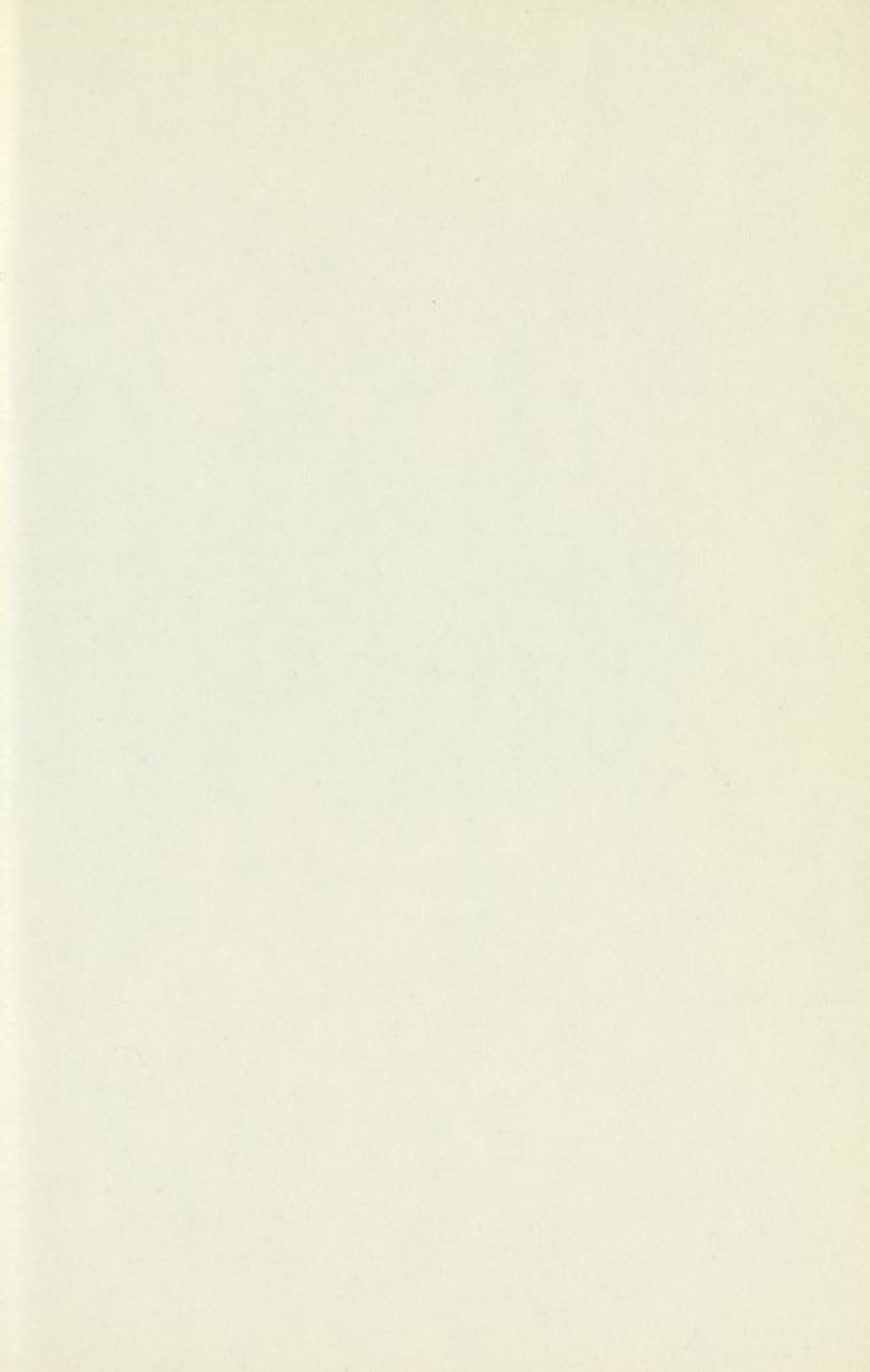
حَسْبي إذا كان الوزير مخيِّبي

أنّي بلطف الله غيرُ مخيَّب

أو كنتُ مغلوباً على أمنيّتي

فالله عوني غالباً لم يُغلَب

فى موكب الشهيد



في موكب الشهيد

القيت في حفلة تابين شهيد العروبة والاسلام المغفور له المشير الركن عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية وذلك بمناسبة مرور اربعين يوما على استشهاده مع نخبة من وزرائه ومرافقيه في حادث الطائرة المشئوم الذي اودي بحياتهم يوم (١٣) نيسان (١٩٦٦) .

زِد يا عــراقُ شجاً على أشْجانِ

واشــهد بعينكَ مصرعَ الشُّجعانِ

اَلْواهبــينَ حياتهم لبــلادهم

لا يأبهــونَ بأبهضِ الأثْمان

نفرٌ يُطـلُّ المجدُ من هامـاتهم

غَنِيَتْ مفـارقهُــمْ عن التّيجـان

عاشــوا لِأُمّتهم فلم يتنصّلوا

عن كلِّ تضحيـةٍ لهـا وتفـان

من كلِّ صادقِ نيَّةٍ وعزيمةٍ

حَدْبٍ على أوطانه سهران

متربِّصٍ بالغادرين كأنَّه

من حولهم عَيْنٌ بلا أجْفان

متمسِّكٍ بعرى التَّضامن لا يرى

كعزيز مطلبه عزيز أماني

تغلو دماه إذا أَحَسَّ بفرقةٍ

وتكادُ تصهره من الغَلَيَان

كم فتنةٍ شبَّتْ فبادَ أُوارها

بسلاح هذا الحارس اليقظان

وبليَّةٍ عَمَّتْ فشمَّر دونها

عن حدِّ صمصام ورأس سِنان

للهِ حيطته وشدَّة بأسه

يحمي الحمى ويصول في الميدان

*

(عبدَ السَّلام) وما عرفتُ مجاهداً

جاراك صدقَ عقيدةٍ ولسان

ناضلت حتَّى لم تدَعْ لمناضلٍ

فخراً يتيهُ به على الأقْرانِ

قلَّبْتُ ماضيكَ الوضيء فلم أجد

حرفاً عليه علامة الأُذعانِ

ووقعتُ منك على صحائف سيرةٍ

لم تحو غير الصِّدق من عنوان

لم تَحْنِ رأسك للملوك ولم تجد

غير الإِلَهِ عليك من سلطان

أَكبَرْتُ ثورتكَ الَّتي فجَّرْتَهَا

حمماً تدكُّ معاقلَ الطُّغيان

لمَّا رأيتَ سواك يمسخ وجهها

ناوأْتَهَا وجهرت بالعدوان

وَلقيتَ كيدَ الكائدينَ فلم تهن

عزماً ولم تعدم ثبات جَنان

ودخلتَ محكمةَ الجناة فلم تَخَفْ

جلَّادها وهزأت بالسَّجَّان

ولَرُبَّ حكمٍ بالمنيَّةِ هلَّلَتْ

عيناك وابتسمت له الشَّفَتان

مَنْ ذا الَّذي ينساك تنصت هادئاً

وفؤادُ من قاضاك في خَفَقان ؟

خالوا السُّجون لمثل قدرك ذلَّةً

فوجدتها للعزِّ خير مكان

وتوعَّدوك بكلِّ شرٍّ عاجلٍ

فخذاتهم بالصَّبر والأُيمان

وأَرَوْكَ صحبك يسقطون بنارهم

وأَرَوْكَ غيرهمُ على العيدان

فكظمتَ غيظكَ تستعدُّ لساعةٍ

تحتثُّ عقربها على الدَّوَرانِ

حتّى إذا حانَ القصاص شببتها

ناراً يمور بها فمُ البركانِ

وتركتَ فرعونَ العراق ورهطه

عارينَ من قبرٍ ومن أكفانِ

بوركتَ من بَرٍّ بشعبك مخاصٍ

متهالكٍ في حبّه متفانِ

ولطالما أدركته في محنةٍ

ودفعت عنه غوائل الحَدَثانِ

ووقفتَ دونَ الطّامعينَ تكالبوا

زُمَراً عليه تكالب الذُّؤبانِ

وطويتَ حكمَ الأوصياء وعهدهم

وفوارقَ السّادات والعبدانِ

ووزنتَ بالقسطاس بين أميرهم

وأجيرهم وعدلتَ في المُيزان

لم تنس ربَّك حين يلحقُكَ الأذى

أو تستجِبْ لنوازغ الشَّيطان

قلبٌ يدكُّ الطَّودَ في جبروته

وكأنَّه في العطف عشُّ حَنان

تلقى المُسيء مجلَّلاً بذنوبه

فتحوطه بالعفو والغفران

خُلُقٌ كخلْقِ الأنبياء تعفُّفاً

وطبيعةٌ طبعت على الأحْسان

شاركتَ شعبك بؤسَهُ ونعيمَهُ

ومداهُ في الأفراح والأحزان

ونذرتَ نفسك للعروبةِ لم تَحِدْ

عن خطِّكَ العربيِّ قيدَ بنان

وأبيْتَ إلَّا الوحدويَّةَ مطلباً

تبْغيه في دينٍ وفي أوطان

وجمعت شعبكَ غيرَ ما متقاعسٍ

عن رصّ وحدته ولا متوان

ووقيته شرّ الخلاف وصنته

من جذوة الأحقاد والأضغان

ولمَ الخلاف وكلّهم متمسّكٌ

بالله والأسلام والفرقان ؟

هَلْ موقفُ السّنيّ من شيعيّهم

إلّا كما تشابكُ الكفّان

ولمَ الشّقاقُ وهم تتمّةُ بعضهم

ولكلّ قلبٍ نابضٍ عِرْقان ؟

ولمَ الخصامُ ولم يكن (لعليّهم)

ثأرٌ مع (الفاروق) أو (عثمان) ؟

بيتُ النبوةِ قُدِّست (زهراؤه)

و (الحيدرُ الكرّار) و (الحَسنان)

نَزَلَ الكتاب على سماهُ مطهّراً

وبه تكاملَ خاتمُ الأديان

ولمَ العداءُ يعوذ من عربيِّهم

كرديِّهم وكلاهما أخَوان ؟

وكلاهُما في رزقهِ ومعاشه

وحقوقه وبلاده سيّان

شعبانِ عاشا ما وَهَتْ صلتاهما

مَنْ ظَنَّ أنّهما سيختلفان ؟

إلْفانِ ما فصمَ الزّمان عُراهما

يوماً فكيف تبدَّلَ الألْفان ؟

هل فتَّ في عضديهما أنْ يردعا

بالنُّصح من جنحوا الى العصيان ؟

تَبَّتْ يدُ المستعمرين أغاظهم

صفوُ الرِّفاقِ وإلفَةُ الأخْوانِ ؟

جعلوا من القُرَباء أهل عداوةٍ

يتخاصمونَ فكيف بالجيران ؟

وتكفّلوا قتْلَ الشّقيقِ شقيقَهُ

من غير عاطفةٍ ولا وجدان

من أين للمتلبّسين بجرمهم

أنْ يؤمنوا بكرامة الأنسان ؟

أتظَلُّ آلافُ الشّعوب تسوقها

للموتِ شرذمةٌ من القرصان ؟

أكَلُوا الشّعوب وما تزال بطونهم

تشكو سعار الجائع الظمآن

ولرُبّما صعدوا السّماء ليبحثوا

في الجَوّ عن بلدٍ وعن سكّان

مَنْ ذا الّذي يدري مدى أطماعهم

إنْ لم يعُدْ يستوعب القَمَرآن ؟

أَو لم يديروا (للمسيح) ظهورهم

من أجْل ذاك الأَصْفر الرَنّان ؟

ويبرّؤا ذممَ اليهود كأنّما

صُلِبَ (المسيح) على يدِ الرُّهبان

جعلوا من الأُسلام ظلّ حمايةٍ

للعابثينَ بحرمةِ الأُديان

الْكافرينَ بربّهم وبلادهم

الْمؤثرين عبادةَ الأوثان

الْمرجفينَ الخادعينَ شعوبهم

الطّامسينَ الحقّ بالبُهْتان

الْمستغلينَ الجهالةَ والعَمَى

لدوامِ حُكْمٍ أو بقاء كيان

وكَفَى (بإسرائيل) أنْ تَلْقَى بهم

لحمايةِ العدوان خير ضمان

هل فتَّشَ المستعمرونَ فلم يروا

كالمسلمينَ أضلَّ في العميان ؟

وغداً إذا غُلِبوا على أهوائهم

سيرونَ شرَّ عواقب الخذلان

سيرونَ في الإسلام دينَ كرامةٍ

للمسلمينَ وليس دينَ هوان

سيرونَ في الإسلام صُلْبَ عقيدةٍ

لا تلتوي بالمكر والروَّغان

مَنْ كادَ للإسلام حتَّى شقَّهُ

فئتين خانقتين تصطرعان ؟

وإذا القضاءُ جرى ليهلك أمّةً

لم تَلْقَ كالبغضاء من سَرَطان

★

رُحْماكَ يا (عبدَ السَّلام) بأُمَّةٍ

لم تبقَ قادرةً على الأَشْجانِ

رُحْماك في وطنٍ بنيتَ كيانه

وتركته في أوَّلِ البنيانِ

رُحْماك في شعبٍ سددتَ بوجههِ

سُبُلَ العزاء وأوجه السُّلوان

أنعشت في تمُّوز حبَّةَ قلبهِ

ومنحته العَبَرات في نيسان

وا غدرَ طائرةٍ عديمةِ ذمةٍ

أودت بمعيي النَّسْر في الطَّيران

ماذا دهاها فارتمت مجنونةً

لم تعتصم بالصَّبر بضعَ ثوان ؟

ما بالها جنت ولم يكُ بين مَنْ

حملت من الأبطال أيُّ جبان ؟

لو لم نحطِّمْ نفسها لتحطَّمت

بدوام لعنتها مدى الأَزْمان

عرضت لها هوجُ الرِّياح فأجْفلت

مذعورةً ومضت بغيرِ عنان

وأَخافها شبح الظَّلام فأَوقَدَتْ

من صدرها برجاً من النِّيران

يا ويلها طارت لتلقى حَتْفَها

وجَنَتْ على ركبانها العِقْبان

ولَرُبَّ أحرارٍ قضوا أَكْتافَهُمْ

في بعضها والهامُ في السِّيقان

عاشوا الحياةَ موحَّدين قلوبهم

وتمازجوا في الموت بالأَبْدان

شهداءُ ينطقُ سعيُهُمْ وجهادُهُمْ

عن صالحٍ يبقَى وعمرٍ فان

لكأنني بهُمُ إذا حشِروا غداً

يَفِدون إخواناً على (رضوان)

لا كانَ يا (عبدَالسَّلام) ركوبُها

وودت لو ركَضْتَ بكَ القَدَمان

خذلتكَ في يوم الجهاد تشنُّها

حرباً على الدُّخلاء والأعْوان

فقضيتَ أشْرَفَ ما قضى مستشهدٌ

وأبيْتَ إلَّا صحبةَ القرآن

واكبتُ نعشكَ والدُّموع هواطلٌ

والنَّاسُ في صَخَبٍ وفي جَيَشان

يتدافعونَ وظلَّ نعشك فوقهم

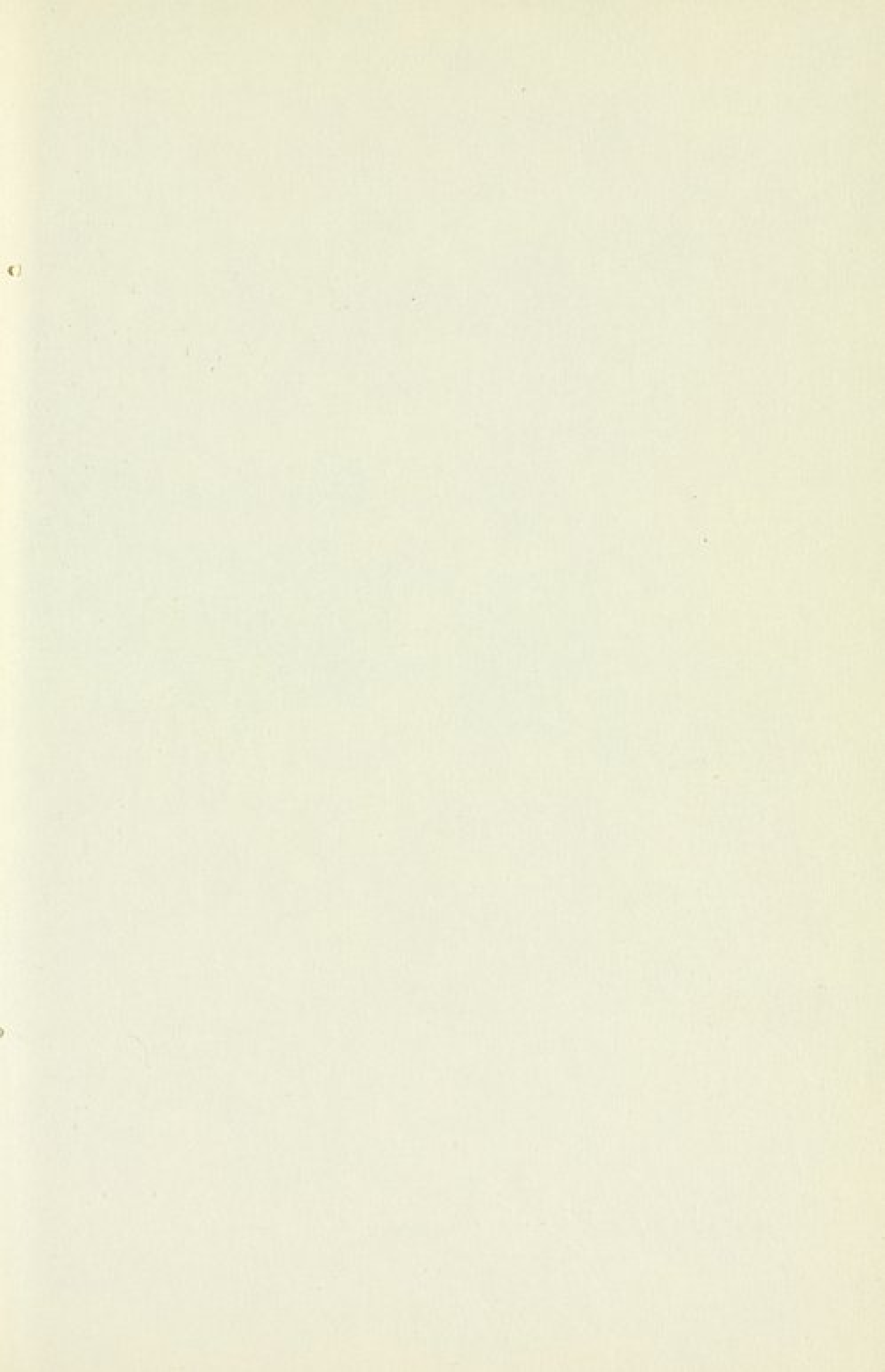
كسفينةٍ تجري على طُوفان

وأرى مواكبهم وأسألُ هل بكت

بعدَ (الحسين) على شهيدٍ ثان ؟



يتدافعونَ وظِـلُّ نعْشِكَ فوقهمْ   كسـفينةٍ تجـري عـلى طوفانِ



لو لم تكن إلّا الصّلاة (لأحمدٍ)

و (لإلهِ) صلّى لك (الحرمان)

واروْكَ والعبراتُ ملءُ جفونهم

ما بينَ تكبيرٍ وبين أذان

زمرٌ تنوح وآخرونَ سواهُمُ

يتمسّحونَ بطاهر الجثمان

كم خضّبَ المنديلَ منهم ناحبٌ

واساهُ آخرُ ناقع الأرْدان

أَتُرى أكاليلُ الزّهور تحيّفت

بعدَ احتضانك جيرة الأغصان ؟

نشرت على ميّادِ نعشك ظِلّها

وتشمّمت أذْكَى من الرّيحان

وكأنّ أوْسمةَ البطولة هالها

أن لا تكون بصدرك المزدان

تبعتـــكَ وهي تـودُّ لو نـزَّهتهـا

في ٱلقَـدْر عن ماسٍ وعن عِقْيـان

(عبدَالسَّلام) وأيُّ هوْلِ مصيبـةٍ

هـدَّتْ أمانينـا من ٱلأركان

ما غابَ صوتُـك وهو يهتف عالياً

بالوحـدةِ ٱلكبرى عن ٱلآذان

ولَـكانَ هـانَ الـرُّزْءُ لـو أمهلتهـا

تمتـدُّ من (عَـدَنٍ) الى (تطْوَان)

أُمنيَّةٌ هيهـاتَ تنْشـــد غيرهـا

أُمنيَّـــةً لو صـــدَّك الثَّقَـــلان

فٱصبر على ٱلأقدار صبرَ موحِّـــدٍ

راضٍ بحكمِ ٱلواحـدِ الـديَّـان

وٱنعَـــم مع ٱلأبرار في عليـائهم

وتلَـقَّ رحمـــةَ ربِّـكَ الرَّحمـان

الخطأ والصواب

الصفحة	البيت	الخطأ	الصواب
٤٠	٤	يَسلمونا	يُسلّمونا
٦٠	٤	أفلَّ	أقلَّ
٦٠	٥	ورجاهُ	ورجاهَ
٦١	٥	بيناً	بيتاً
٦٨	٧	وعجيبُ	وعجيبٌ
٧١	٦	والافلام	والاقلام
٨٩	٦	يحتضون	يحتضنون
٩٦	٩	واطرح	وأطّرح
٩٨	٥	جامحَ	جامحُ
١٥٧	٦	عظيمُ	عظيمِ
١٧٥	١	بشارةُ	بشارةَ

تنبيـه : سقط البيت التالي من قصيدة (ليلة في الشوير) وهو البيت الخامس في التسلسل من صفحة ١٢٥ ·

إنْ تمشّت تكادُ لا تطأ الأرضَ   اختيـالاً ولا تمسّ ثـراهـا

الفهرس

الشعر

استدراك

ورد في البيت الرابع من صفحة ١٨٠ كلمة

(تغلو) والصواب (تغلي)





حافظ جميل

★ ولد الشاعر في مدينة بغداد عام ١٩٠٨ وهو من عائلة (آل الجميل) المعروفة في العراق .

أتم في بغداد الدراستين الابتدائية والثانوية والتحق بالجامعة الامريكية في بيروت عام ١٩٢٥ وانهى دراسته فيها عام ١٩٢٩ بعد حصوله على درجة (بكالوريوس) في العلوم .

★ اشتغل مدرسا لعلوم اللغة العربية وآدابها في الثانوية المركزية وفي دار المعلمين الابتدائية في بغداد حتى أوائل عام ١٩٣٢ حيث استقال من وظيفة التدريس .

★ عين في أواسط عام ١٩٣٢ موظفا في وزارة المالية ثم نقل الى وزارة المواصلات حيث تقلد فيها عدة وظائف كان آخرها وظيفة مفتش عام للبريد والبرق والتلفون .

★ أحال نفسه على التقاعد في أواسط عام ١٩٦٣ بسبب ظروفه الصحية .

★ صدر له ديوان شعر صغير باسم (الجميليات) عام ١٩٢٣ وهو يومئذ تلميذ في المدرسة الثانوية .

★ صدر له ديوان شعر ثان باسم (نبض الوجدان) عام ١٩٥٧ .

★ مثل العراق في كثير من مؤتمرات الادب وفي مهرجان الشعر العربي السادس ببغداد .

دار الجمهورية ـ بغداد ١٣٨٦ / ١٩٦٦





ثمن النسخة (٣٥٠) فلسا

